
مجلة
شذرات ثقافية
19
وداعا..
ريان

الفهرس

من شعب الإيمان

(4) أن نتحلى بسلامة الصدر

أ. د. محمد صالحين



إن سلامة الصدر تعني: طهارتَه من الغِلّ، والحسدِ، والحقدِ، والبغضاءِ، وسوء الظن، ...، وهذه علامةٌ على أنه قلبُ إنسانٍ مؤمنٍ حقًّا.

وقد حَرَصَ النبي صلى الله عليه وسلم على تحصيل أسباب نقاء قلبه تُجاه أصحابه؛ فقال: {لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.}

وصاحب الصدر السليم: يعيشُ هادئَ البال، مرتاحَ الضمير، مقبلًا على الناس غير منقبض، حسنَ الظن، لا يتجسس، ولا يتحسس، ولا يسأل عما لا يعنيه، ويشعر بانفطار قلبه إذا أُصيب أي أحد بمكروه أو سوء، ويشعر بفرحة حقيقة إلا حدثتْ نعمةٌ لأحد، أو تجددتْ.

والواقع يُخبرنا أننا إذا رأينا إنسانًا يُسيءُ الظن بالناس، ويطلبُ عيوبهم: فلنعلم أنه خبيثُ الباطن، سيئُ الطوية، فبينما يطلبُ المؤمنُ للناس المعاذير: فإن المنافق يطلب عيوبهم، ويتمنى زلاتهم، وينتظر إخفاقاتهم؛ لأن قلبه طافحٌ بالحقد، وصدره مشحونٌ بالبغض، ولا يتصورُ أن أحدًا سليمَ الصدر؛ لأنه يقيس الناس بمقياسه الفاسد، على عكس المؤمن الذي يظن بالناس خيرًا، ويرجو لهم مزيدًا من الخير.

فلنجاهدْ أنفسنا مجاهدةَ الصادقين أن تكون صدورنا سليمة؛ لأن سلامة الصدر: نعيمُ الدنيا، وراحةُ البال، ورضوان الله في الأخرى، وأفضل الناس: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ» ومَخْمُومُ الْقَلْبِ هو: «التَّقِيُّ النَّقِيُّ؛ لَا إِثْمَ فِي صدره، وَلَا بَغْيَ فِي باطنه، وَلَا غِلَّ فِي قلبه وَلَا حَسَدَ»



الكاتبة فاطمة عبد الرؤوف :

كثير من الشباب والفتيات لديهم تصورات غير واقعية عن الحياة الزوجية



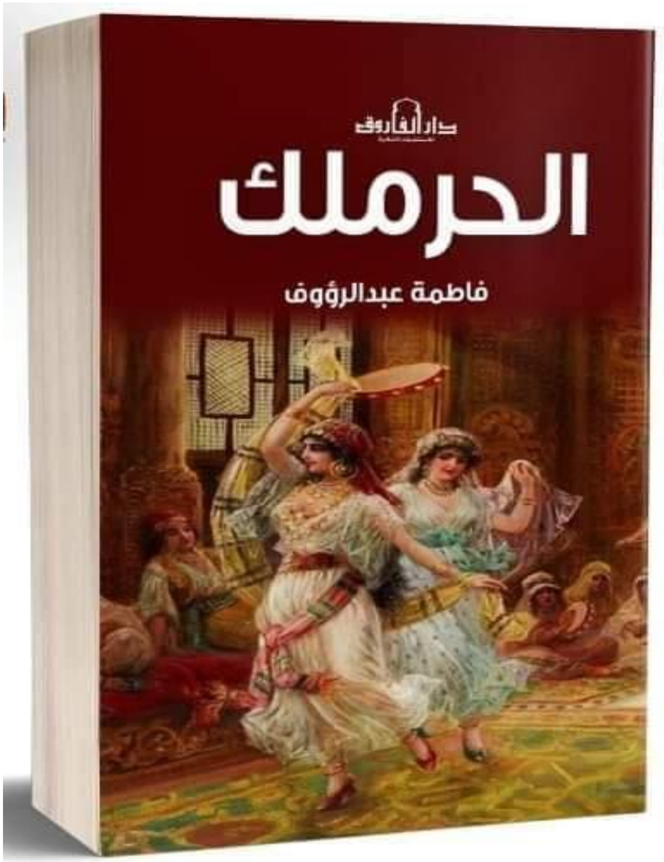
حوار

وائل مجدى

فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، نولى إهتماماً ملحوظاً بالأسرة ودورها فى إنتاج مجتمع متماسك ، حيث نرى أنها الرباط المقدس الذى يمسك بحبات العقد ، ويحافظ على نظمها واصطفافها جنباً إلى جنب ، لذا يجب الحفاظ عليه متيناً ، وإلا انفرطت حبات العقد ، وصار المجتمع متخبطاً بلا نظام ، منفلتاً دون قيم ، مشوهاً فاقداً لهويته ، أهوجاً بلا مركزية ، هشاً يمكن تمرير الأفكار والاطروحات الدخيلة من خلاله بكل سهولة .

ذلك أن الأسرة هى الممرر الأول للمشروع الدينى الاخلاقى القيمى وسط أفرادها ، وإنهيارها يعنى إنهيار تلك المنظومة ، الأمر الذى يخلق مرتعاً خصباً لتقبل كل المشروعات الغير سوية ، وإبدال الثوابت بأمور أخرى فضفاضة ، تتسع لكل المناهج ، وتميع الأصول .

وفى سياق متصل، كان لنا شرف الحوار مع الكاتبة القديرة فاطمة عبد الرؤوف، وهى كاتبة متخصصة في شئون الأسرة واستشارية علاقات زوجية، لبحث ما يتعلق بالخلافات التى قد تطرأ على الحياة الزوجية، ونظرة فى الأسباب وتحليلها ، محاولة للوقوف على حلول عملية، من شأنها أن تساعد الزوجين فى الإلتفاف حول مشكلاتهم، وإخمادها فى مهدها.



الكاتبة فاطمة عبد الرؤوف لها العديد من المقالات التى تعالج الشأن الأسرى، ولها بعض الكتب ومنها : عالم الجواري والحرملك وعشيقات حكمن العالم.

- **ربما بعض التغذيات الراجعة من خلال الآلة الإعلامية الموجهة، ومنها الفضائيات والسينيما، وحتى وسائل الإتصال الرقمية وغيرها، ظن بعض الشباب والفتيات أن الحياة الزوجية تكون بالضرورة حياة مثالية، يسودها الحب والتفاهم على جميع مستوياتها ومراحلها، حيث لا وجود لمنغصات أو عقبات أو تحديات تعززها ضغوطات الحياة المستمرة، والاختلاف فى الفكر والطرح بين الزوجين.**

برأيكم مسألة توهم المثالية فى الزواج، هل يعد سبباً فى الوصول لأبعد نقطة فى الخلافات الزوجية ؟

ـ كثير من الشباب والفتيات لديهم تصورات غير واقعية عن الحياة الزوجية فمنذ الطفولة المبكرة ارتبط الزواج والعرس بتصورات شبه أسطورية بدءا من الحكايات القديمة التي تنتهي بـ (وعاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات) فالتبات هو الثبات اي الاستقرار في حالة السعادة التي كللت قصة الحب والنبات هو ثمار الحب السعيدة التي تظلل تلك الحياة المستقرة.. يرى كثير من علماء النفس أن ذكريات الطفولة تشكل ما يطلق عليه اللاوعي المسئول عن كثير من اختيارتنا وسلوكياتنا وتوقعاتنا وأحلامنا في الحياة.. هذا اللاوعي الذي تعزز فيه كثيرا مفهوم الزواج كبداية لحياة جديدة مختلفة ومنطلقة تتحقق فيها حتى الأحلام المستحيلة.. ينتظر كل طرف من الآخر أن يكون له كل شيء زوج وحبيب وصديق وأب وأم وأخ.. ينتظر كل صور العطاء الممكنة.. ينتظر أن يعيش قصة حب أسطورية كتلك التي يشاهدها في الدراما.. الفتيات خاصة يحلمن بالشموع والورود والبالونات الملونة الكثيفة التي تحلق في السماء من أجلهن حتى عندما يكبتن هذه الأمنيات يحلمن بها سرا وتبقى أحد أمنيات الحياة التي لم تتحقق.. كثير من الشباب أدمن المواد الإباحية التي تشكل صناعة رائجة وضخمة على الشبكة العنكبوتية وينتظر من الزواج أن يحقق له مثل ما يشاهده وعندما لا يتحقق ذلك لأنه يغفل كثير من الأمور المتعلقة بالإخراج والإضاءة والمونتاج ناهيك عن الأبعاد النفسية للفتاة يصاب بخيبة أمل فإذا أضفنا لذلك المسئوليات الجديدة الملقاة على عاتقه خاصة مع حدوث الحمل وإنجاب الطفل الأول ما يعني التزامات كثيرة لم يكن يفكر فيها وهو يحلم بالزواج ويجد في النكات والمنشورات الساخرة من الزواج ملاذا ينفث فيه كثير مما يضيق به صدره بل ويعيد صناعته وإنتاجه من خلال السخرية من زوجته.. من وزنها الذي زاد وبطنها التي ترك الحمل آثاره عليها وربما يقارنها بالممثلات وقد ينزلق للحديث مع أخريات لأنه يشعر أن زوجته لم تعد متاحة كما كانت من قبل تحت وطأة التزامات جديدة لا يمنحها التقدير الكافي.. هذه الأجواء هي على العكس تماما مما كانت تطمح فيه الفتاة فتصاب بخيبة أمل تتسع بمرور الوقت ما لم تتفهم أبعاد الموقف وتتداركه وهنا قد تلجأ لأسلوب المعاملة بالمثل فتسخر منه ومن الزواج وتشترك في أحد الجروبات النسائية التي تلعن في الزواج والأزواج ليل نهار.



المثالية الزائدة وسقف التوقعات الكبير جدا والرغبة في العطاء بلا حدود لأنك تنتظر من الطرف الآخر أيضا أن يعطي بلا حدود تسبب حالة شديدة من الإحباط عندما تكتشف ببساطة أن الأمر ليس كذلك وأن الطرف الآخر لا يشبع لديك ما كنت تنتظره وتحلم به وأنه لا يعطيك بلا حساب أو حدود وأنه قد يسئ فهمك ولا يتسامح مع أخطائك.. عندما تشعر أنك غير قادر أن تتعامل بكامل عفويتك لأنه قد لا يتقبلك هكذا وقد ينتقدك بحدة و.. و..

النتيجة النهائية المؤلمة هي الوصول لمرحلة يمكننا أن نطلق عليها "الشح النفسي" وهي مرحلة الخلافات الحادة المرهقة التي لا تسامح فيها ولا تنازل..مرحلة استعصاء الصلح إن جاز التعبير فالله سبحانه يقول: (والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح)

هذه المرحلة هي عكس المرحلة الأولى مرحلة "الأحلام العريضة" حيث المثالية المحلقة في الخيال والرغبة في العطاء بلا حدود فمرحلة الـ"الشح النفسي" هي أبعد نقطة للخلافات الزوجية.. شح وبخل عاطفي ومادي.. شح في الكلمة الطيبة..شح في النية الحسنة.. شح في المواساة والشفقة.. شح في المودة والرحمة.. شح في القدرة على الاستماع أو الانتباه أو التفاعل.

الحب كالشجرة المثمرة العظيمة تحتاج الوقت والصبر والجهد حتى تصل للكمال.. تعطيها كثيرا قبل أن تفكر في الأخذ منها هذا ما ينبغي على الزوجين أن يفكرا فيه العطاء (قدر الطاقة) دون انتظار مقابل حتى يأتي المقابل عفوا فيعزز العطاء في دائرة من الإيجابية السعيدة.

الواقعية في التفكير في الزواج لا تتناقض مع الرومانسية والعاطفية لكنها تعني سقف توقعات معتدل لأننا بشر لدينا نقاط قوة وضعف يكفي فقط أن نتقبل هذه الحقيقة البدهية حتى يعتدل سقف التوقعات ويرتفع سقف العطاء فيستقر الزواج ويصبح "تبات ونبات"

- **فى التعامل مع الخلافات الزوجية، ولاسيما فى الفترات الأولى من الزواج، غالباً ما يتسع الأمر ليشمل نطاق الأهل، الأمر الذى يعمق الخلافات ويعقدها أحياناً.**

هل يجب أن يتدخل الأهل من الطرفين؟ ومتى يجب ذلك؟ وهل هناك معاييراً لذلك التدخل؟ وإلى أى مدى يمكن أن يزيد تدخل الأهل من توسيع الهوة بين الزوجين؟

- من الأوهام الشائعة أن الزواج الناجح هو زواج بلا خلافات لأنه مهما بلغ الانسجام والتآلف بين الزوجين فلابد من وجود الخلافات بل إن وجود الخلافات قد يكون علامة صحية لأن البديل قد يكون صمت القبور أو ما اصطلح على

تسميته بالطلاق الصامت أو الخرس الزوجي فالخلافات تدل أحيانا على حيوية الزواج.

الزواج الناجح ليس هو الزواج الذي يكون بلا خلافات بل هو الزواج الذي يستطيع فيه الزوجان إدارة الخلاف بشكل صحي ومن الأمور الأساسية لخلاف زوجي صحي:

- الاتفاق منذ بداية الزواج على طريقة التعامل مع الخلافات فمثلا يمكن للزوجين الاتفاق على عدم إشراك طرف ثالث بينهما أو ألا يمر اليوم دون حل الخلاف أو ألا ينام أي طرف في حال الخلاف بعيدا عن غرفة النوم.

- أن يمتلك الزوجان القدرة على إدارة الحوار دون الدخول كثيرا في امور فرعية وأن يكون الحوار متعلق بالخلاف الحالي وليس صندوقا أسودا ممتلئ بكل الخلافات السابقة التي سبق وتم تجاوزها إلا إذا كان هناك ارتباطا وثيقا.. الحوار هو أفضل خيار لحل الخلافات الزوجية فالصمت والكبت يؤديان في النهاية للانفجار والصراخ والنقد اللاذع يفاقمان المشكلات.

- التفرقة بين النقد وبين الإهانة والسب والحرص ألا تتسع دائرة الخلاف للوصول لحد السباب.

- امتلاك مهارة الصمت الجميل في حال ثورة الطرف الآخر والمقصود بالصمت الجميل أي الذي لا يرافقه نظرات التحقير والانتقاص أو اللامبالاة التي تشعل الطرف الثائر بأكثر مما تفعل الكلمات.

- امتلاك مهارات التهدئة الذاتية كالتنفس العميق والاستغفار والوضوء واتخاذ وضعيات جلوس مريحة.

- امتلاك شجاعة الاعتذار والاعتراف بالخطأ في حال ادراك وجود خطأ وعدم المكابرة في ذلك حتى لو كان الطرف الثاني مخطئ أيضا حتى نشجعه هو الآخر على الاعتراف بخطأه وفي حال إصراره على الخطأ لابد من العودة لمائدة الحوار ولكن في وقت لاحق تكون النفوس أكثر هدوئا.

أما بالنسبة للجوء للأهل عند وجود خلافات زوجية فهو في الغالب أمر غير مستحب فمن ناحية معظم الأهل لا يمتلكون أدوات الموضوعية عند النظر في الخلافات وقد يورث نقل أخبار الخلافات الضغائن في القلوب وفي أحيان أخرى يميل الأهل للتصعيد وينعكس ذلك لحالة من العناد بين الزوجين .

يمكن اللجوء للأهل في حالتين:

الحالة الأولى: عندما يتمتعون بمقدار كبير من الحكمة والموضوعية ويكونوا على مسافة واحدة من الطرفين وهذا ما شهدناه من موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع علي وفاطمة وما رأيناه من مواقف الصديق مع أسماء وعائشة.

الحالة الثانية: عندما تصل الخلافات الزوجية لحافة الهاوية وتفشل جميع محاولات الصلح والاحتواء داخل دائرتهم الخاصة فيكون تدخل الأهل أقل ضررا من الطلاق والفراق وهي مرحلة الحكمين.

والحكمين سواء كانوا من دائرة الأهل القريبة أو البعيدة لابد أن يتقوا الله عز وجل بحيث يكون هدفهم الأساسي الإصلاح وجمع شمل الأسرة وليس الانتصار للطرف الذي يتبعه وتحقيق أكبر قدر من النفع له وتكبيد الطرف الآخر أكبر قدر من الضرر فهي ليست معركة قضائية ..ليس هناك متهم وضحية بل توجد أسرة نريد ان نرمم شروخها أو حتى نمنحها قبلة الحياة ولابد من بذل قصارى الجهد في تقريب وجهات النظر وتفهم الدوافع النفسية وراء السلوكيات المزعجة.. وفي حال ثبت أن أحد الطرفين يرتكب أخطاء جسيمة فلابد من توجيه النصح له بطريقة يتقبلها ولا تنفره.

ومن المهم أيضا الحفاظ على مشاعر أهل الطرف الآخر فإذا كان الزوج أو الزوجة مخطئين فلا ينغي أبدا أن ينسحب ذلك على أهله أو اللمز في تربيتهم فلا ينبغي أن ننسى الفضل بيننا.

- **الأفكار النسوية التى أصبحت موجهة أكثر من أى وقت مضى إلى الأسرة المسلمة، الأمر الذى قد يؤدى إلى زعزعة أركانها، مما يهدد بإنهيار سقفها.**

كيف يمكن التصدى لهذا السرطان الذى يفت فى عضد الأمة، والذى دفع الغرب وما زال من أجله كل غال ورخيص، ساعدتهم فى ذلك أيادٍ خبيثة من بنى جلدتنا، للقضاء على استقرار الأسرة المسلمة ومستقبلها.

- تعتبر الأفكار النسوية كارثة حقيقية حلت على الأسرة المسلمة دعونا نعترف أن القيم الجاهلية عادت لتحكم كثير من الأسر وأصبحت العادات والتقاليد البالية مقياسا في كثير من البيئات دعونا نعترف أن المرأة المسلمة والزوجة المسلمة تم الالتفاف على كثير من حقوقها الشرعية التي كفلها لها الإسلام وتم إلصاق كثير من العادات والأفكارالاجتماعية بالإسلام دون أي دليل شرعي والأمثلة كثيرة جدا مثلا كفل الإسلام للمرأة أن يكون لها ذمة مالية خاصة بها بالإضافة لنفقتها الكاملة بحسب الحالة الاقتصادية للزوج لكن إذا نظرنا للواقع نجد في

كثير من الأحيان أن الزوجة تنفق ميراثها وتنفق راتبها بالكامل تحت وطأة الضغط الاجتماعي وليس عن طيب نفس منها، تبيع ذهبها وهو المهر الحقيقي الذي تحصل عليه مثل فلانة وفلانة وإلا ستكون زوجة غير أصيلة "نذلة" ويصل الأمر لتراكم الثروة عند الزوج بينما تصبح الزوجة معدمة لأنها لا تستطيع التمسك بحقها في الذمة المالية ..هناك نساء يفعلن ذلك بطيب نفس خاصة مع ظروف الزوج المتعثرة لكن كثيرات يفعلن ذلك تحت تاثير سطوة التقاليد الجديدة.. بعض الأزواج يتزوج المرأة عاملة وهو يطمع في مالها ثم يخيرها بعد الزواج بين أن تمنحه راتبها بالكامل أو حتى معظمه أو تترك العمل الذي كان شرطا ضمنيا في الزواج فهو لا يكتشف تقصيرها إلا بعد أن تمنعه المال**!!**

ومن القيم الظالمة ما يحدث للنساء في الريف في داخل ما يطلق عليه "بيت العيلة" حيث تجبر الزوجة على خدمة حمويها رغم أنهما يتمتعان بصحة جيدة بل وخدمة أشقاء زوجها الذكور ومع ما في الأمر من اختلاط زائد وعدم القدرة على الالتزام بشروط الحجاب فإن استخدام المرأة على هذا النحو تحت وطأة العادات والتقاليد أمر مخز لدرجة أن نسبة كبيرة جدا من حالات الطلاق في الريف تكون بسبب الحماة والخدمة وبيت العيلة دون أن يقوم خطيب الجمعة بخطبة ترفع هذا الظلم المنظم الذي يقع على عاتق النساء هناك .

الموقف المتخاذل من الدعاة والخطباء والوعاظ تجاه المظالم التي تقع على عاتق النساء المسلمات هو المنفذ الذي دخلت منه النسوية لبلادنا ومجتمعاتنا وأسرنا.

تحت لافتة العدالة والرحمة دلفت النسوية لعواطف النساء وسارت في عدة مسارات متكاملة فمن ناحية استغلت الظلم الواقع بالفعل وضخمته وأبرزته جليا خاصة مع خفوت الأصوات الإصلاحية في مواجهته .. والمظالم كثيرة ومتشعبة بدءا من العنف ضد المرأة وانتهاءا بحقها في تقلد المناصب الرفيعة وهن في ذلك يستخدمن مناهج التعليم والأعمال الدرامية والمراكز الحقوقية والضغط لسن تشريعات جديدة.

ومنهجهن في ذلك البدء بقضية عادلة ثم التوسع لتغيير قيم وهوية الأسرة وتغريبها

البعض يفعل ذلك بطريقة صاخبة جدا قد تواجه بالاستهجان ولكنها ترفع من سقف مطالبات الفريق الآخر الذي يبدو أكثر عقلانية في التعامل مع المشكلات.

هناك نسوية اشتراكية ونسوية ليبرالية ونسوية متطرفة بل وهناك ما يطلق عليه زورا نسوية إسلامية ولكن مع اختلاف التوجهات والمنطلقات فإن ما يجمعهم هو التمركز حول الأنثى.

النسوية تدعو لخلخلة القيم الإسلامية للأسرة بزعم أنها قيم تقليدية مستغلين الخلط بين العادات والتقاليد وبين الدين فتحت لافتة محاربة الذكورية يتم رفض قوانين الميراث ويتم رفض رخصة التعدد ويتم رفض قوامة الرجل وتحت هذا البند كثير من القضايا.

النسوية تريد تحت لافتة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة أن تنفي كافة الفروق بين الجنسين ليصبح الجندر أو النوع الاجتماعي هو البديل المطروح ومن ثم سنجد أنه بتطبيق تلك الأفكار ستزدهر المثلية أو كما قال الدكتور المسيري إذا كانت النسوية هي الفكر فإن المثلية هي التطبيق.

النسوية التي تحارب الزواج المبكر ترى أنه من حق الطفلة أن تقرر متى وكيف تصبح ناشطة جنسيا!! تحارب النسوية جرائم الشرف الظالمة لكنها تسعى في سبيل ذلك إلى إلغاء معنى الشرف ذاته.

لا يمكن الوقوف في وجه النسوية والمداد الذي تستمد منه زادها من الظلم والتعسف ضد النساء وإهدار حقوقهن في الميراث وتجاهل ذمتهن المالية قائم بالفعل.. لا يمكن الوقوف ضد النسوية وملايين النساء يتعرضن للضرب والتعنيف.. لا يمكن الوقوف ضد النسوية وهناك تعمد لاختيار أشد الآراء الفقهية تعسفا وترويجها على أنها هي الآراء الوحيدة الصحيحة ..لا يمكن الوقوف ضد النسوية وخطباء المساجد والدعاة لا يخصصون الوقت الكافي للدفاع عن حقوق النساء التي كفلتها الشريعة وطبقها النبي صلى الله عليه وسلم ودون الوقوف في وجه المظالم الاجتماعية خاصة في الريف والصعيد دون الخوف من الأعراف والتقاليد العفنة التي تحكم بالفعل.

- **قد توجد فجوة معرفية وثقافية بين الزوجين ، على إثر إختلاف الخلفيات، ومن ثم التوجهات والأيدلوجيات، والتعامل مع معطيات الحياة بشكل عام.**

ما السبيل لسد تلك الفجوة، وهل يمكن ذلك؟ وهل يمكن للزواج أن يستمر فى وجود تلك الفجوة؟ وكيف ذلك؟

التكافؤ شرط لنجاح الزواج وإن لم يكن شرطا لصحته والتكافؤ يشمل كل جوانب الحياة ومن أهم الأمور في ذلك امتلاك رؤية متقاربة للحياة لذلك كان الدين والخلق من أهم شروط الزواج الناجح ولا نبالغ في شيء إذا قلنا أن التقارب الثقافي والمعرفي يحمل المرتبة الثانية بعد الخلق والدين ..لا يعني هذا بالطبع أن نمتلك افكارا متطابقة ولكن أن نمتلك طريقة في التفكير متقاربة منسجمة فتزيد الخلافات الفكرية من حيوية الحوار هذه الطريقة المتقاربة في التفكير أحد نواتج الثقافة فوجود فجوة ثقافية ومعرفية تمثل عائق كبير لبناء مشروع زواج ناجح وتزداد المشكلة تفاقما عندما يكون الفارق الثقافي والمعرفي لصالح الزوجة لأنها تجد صعوبة كبيرة في تقبل فكرة قوامة الرجل

وهي تشعر أنه أقل منها.. وما حدث في زواج أم المؤمنين زينب بنت جحش من زيد بن حارثة دليل حي على ذلك.. توافق بعض الفتيات على الزواج برجل أقل منها في المستوى الثقافي أو التعليمي لبعض الأسباب أشهرها تأخرها في الزواج دون أن يتقدم لها الرجل الكفء المناسب لها فتقبل بمن هو دونها ثم تظل تعاني من طريقته في التفكير والحياة والرسالة تصل له دون كلمات فيتعامل معها هو الآخر بطريقة مستفزة كتعويض لما يشعر به من دونية في دورة سلبية من الحياة.

الرجل يعاني هو الآخر عندما يتزوج بمن تقل عنه في الثقافة والتعليم حتى وإن تزوج بأجمل الجميلات فبعد فترة من الزواج تعتاد عينه على الجمال ولا يمثل له رقما مهما في حياته بينما يفتقد عقله من يحاوره من يفضي له بما يشغله بمن يستطيع أن يشاوره من يمتلك أهدافا تشبهه من يمتلك تصورا أعلى للحياة وطموحا يتجاوز المستوى الأدنى منها.

كلما اتسعت الفجوة الثقافية والمعرفية أصبحت المشكلة أكثر تعقيدا وكلما كانت فجوة محدودة كلما أصبح وقعها أقل أثرا ويمكن تداركه.

أيا ما كانت الظروف التي دفعت طرف العلاقة الأعلى للارتباط بمن هو أقل منه إلا أنه ينبغي التعامل بقانون تقبل الأمر الواقع فهو الخطوة الأولى للتعايش معه أو تحسينه .

القانون الثاني هو النظر بعين الرضا للاعتبارات التي دفعته لهذا الزواج بل والصفات الطيبة التي اكتشفها في شريكه بعد الزواج (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر) فإذا كان قد تزوجها لجمالها فعليه أن يجدد رؤيته لهذا الجمال وما يتبعه من العفاف الذي قد لا يتحصل عليه من امرأة مثقفة لكنها عاطلة عن الجمال وإذا كان قد وجد منها لينا ولطفا في التعامل فليقدر ذلك ويمتن له ويأخذ بيدها خطوات صغيرة للتقارب الثقافي.

وإن كانت هي تزوجت بمن هو أقل منها لتأخرها في الزواج فلتذكر حاجتها للزواج.. حاجتها أن تصبح أما التي تحققت لها فإذا وجدته بالإضافة لذلك كريما شهما فلتمتن لذلك فكم من رجل يتمتع بدرجة عالية من التعليم والثقافة ولكنه سيء الخلق صعب المعشر وهكذا..

- **العناد ولهجة التكبر، والإستماتة فى فرض كل طرف لأفكاره فرضاً على الآخر.**
  - **من منظور قوامة الرجل، وتكريم الإسلام للمرأة، كيف نتعامل مع تلك الظاهرة؟ وما المعايير التى يجب أن يلتزم بها الطرفين؟**

القوامة من المفاهيم التي اسيء فهمها كثيرا خاصة في الأوساط الشعبية الذين يسيئون استخدام الآية الكريمة (الرجال قوامون على النساء) فيرددون هذه الآية الكريمة مع كل موقف استبداد وفرض رأي وتعسف وظلم متجاهلين سلوك النبي صلى الله عليه وسلم التطبيقي بل ومتجاهلين آيات أخرى كثيرة مثل قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ولعل ما حدث من الملك العضوض على المستوى العام انعكس على الداخل الأسري فأنتج لنا نموذج سي السيد.

وبما أن وجود سي السيد كان هو السبب في بذر بذور النسوية في بلادنا كان رد الفعل المتطرف حالة العناد والنشوز التي واجهت بها كثير من النساء كل الرجال وليس سي السيد فقط.

لو عدنا لمفهوم القوامة سنجد أن القوام هي صيغة مبالغة من الفعل قام بما يعني من بذل الجهد للرعاية الأسرية ماديا ومعنويا وأن ما يترتب عليه من معاني الرئاسة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال تفعيل الشورى.

الأنثى الطبيعية تحتاج هذا الرجل القوام الذي يرعاها بحب ومودة ورحمة وحنان الذي يشاورها في الأمر ويستمع لها ويحسن الحوار معها ولكنه ايضا الرجل الذي يمتلك الحضور والثقة والذي يستطيع في النهاية اتخاذ القرار وتحمل مسئوليته.

هذه هي فطرة الأنثى الطبيعية التي لو سألت قلبها أو عقلها فلن يجيبها بغير ذلك.. الأنثى الطبيعية ليست هي الست أمينة التي عاشت في أجواء مركبة من الظلم والجهل وهي ليست أيضا تلك الأنثى المشوهة التي تماهت مع الأفكار النسوية حتى ضاعت أنوثتها.

الفكر النسوي أشعل فكرة المنافسة بين الذكور والإناث حتى تثبت الأنثى أنها ند للرجل ومساوية له في الدراسة والعمل وفرص الحياة فعز عليها بعد أن تكون زوجة له أن تمنحه حق القوامة وأصبحت كلمة طاعة الزوجة لزوجها تعني في عرف كثير من الفتيات مفردة من مفردات العبودية والعيش في عالم الجواري ومن ثم كثر العناد والمشاحنات لأسباب تافهة، والزوج الذي لم يفهم القوامة إلا على معنى الاستبداد يصر على العناد وإجبارها على رأيه في كل تفاصيل الحياة كي يكون في رأي نفسه الذي استمده من المجتمع يمارس الرجولة الحقيقية.. والنتيجة صدامات لا آخر لها تصل للطلاق وبأرقام مرعبة خاصة في السنوات المبكرة من الزواج.. المجتمع يتآكل وينهار بفعل الأفكار الخربة والتطبيقات المشوهة وأصبح هناك من مستشاري العلاقات الزوجية من يحرض على الطلاق لأنها علاقات سامة لا يمكن إصلاحها أبدا فالطلاق هو الحل في زعمهم والنتيجة حالة من حالات الرعب والذعر عند الشباب والفتيات من الزواج وحالة من حالات عسر الزواج يصاحبها شيوع الانحلال

والفاحشة ثم معدلات طلاق غير مسبوقة تصل لنحو 40% من حالات الزواج وسخرية على السوشيال ميديا من الزواج وسنينه وقرفه وبهدلته ومنافسة اخرى بين الذكور والإناث في السخرية الأشد وجعا وإيلاما للجنس الآخر.

حالة التربص بين الزوجين تعني غياب التواصل وتعني غياب مفاهيم أساسية لقيم الزواج وكم نحن بحاجة لمقرر دراسي إلزامي عن العلاقات الأسرية يكون مستمد من وحي الشريعة الإسلامية إذ لو قرر أصحاب الفكر النسوي أن يقوموا على إنتاج مثل هذا المقرر فالنتيجة ستكون مزيدا من الخراب.

مستقبل التعليم ماقبل الجامعي في مصر





بقلم اد. عادل القليعي استاذ الفلسفة الإسلامية بآداب حلوان.

رب سائل يسألني ما الذي دفعك للحديث عن هذا الموضوع بمشكلاته التي ظن البعض أنها مشكلات عصية الحل.

أقول ولا أخفيكم سرا أنني قرأت صباح اليوم مقالا من تربوي متخصص مهموم بقضايا التعليم علي الإطلاق،وبقضايا المعلمين وهو واحد منهم علي الخصوص.

هذا المقال أثار شجون بداخلي بل وحرك الحس الوطني بداخلي الذي لم يهدأ يوما ولن يهدأ إلي أن يقضي الله أمراً كان مفعولا ويحدث مرادنا ويحدث ما نصبو إليه وما نحلم به وما تسعي إليه قيادتنا من أحداث نهضة علمية تتحقق علي اثرها نهضة شاملة ترتفع بها البلاد وترقيه وتعود سيرتها الأولي.

ما رأيته من تدن لمستوي التعليم سواء التعليم الإبتدائي والاعدادي والثانوي

هذا التدني تمخض عنه لا مبالاة مفرطة من الطلاب ومن أولياء الأمور،ومن بعض المعلمين فالكل مشارك ومسؤول،وعندما تسأل أحد الطلاب ماذا استفدت يقول لا شيئ،تسأل ولي الأمر يرد بسخرية هو في تعليم في البلد.

عندما تسأل المعلم يعدد لك مشكلات لاحصر لها من سوء إدارة تعليمية،من وساطة ومحسوبية،من حقوق مهضومة،من تدن للرواتب.

والنتيجة طبعا سلبية بالنسبة للجميع بالنسبة للطالب يأتي الي الجامعة أن دخلها وخدمه الحظ يأتي حتي لايستطيع الكتابة أخطاء كتابية لاحصر لها،عدم القدرة علي صياغة عبارة وجملة مفيدة.

فكيف سيتولي هذا الشخص تعليم تلاميذ بعد ذلك خصوصا لو تخرج من كليات الآداب أو التربية وعمل بالتدريس،طبعا انا لا أعمم ولا أصدر أحكاما علي عواهنها لكن من واقع خبراتي التدريسية وتصحيح كراسات الإجابة.

ما دفعني أيضا للكتابة عن هذا الموضوع إتجاه كثير من أولياء الأمور الي المدارس الخاصة وإهمال المدارس الحكومية بغية أن يتعلم أبنائهم تعليما سليما ،او بغرض هو ابن فلان أحسن من ابني.

صحيح قد يهرب الكثيرون من الكثافة العددية للفصول ومن سوء بعض الخدمات التي تقدم في بعض المدارس الحكومية.

ومن تسلط بعض المعلمين وبسط هيمنتهم علي التلاميذ واجبارهم علي المجموعات والدروس الخصوصية.

والحل بسيط من وجهة نظري هناك إدارات تتلقي شكاوي أولياء الأمور وهناك مجالس امناء دورها مراقبة العملية التعليمية،لكن يقابلك ولي الأمر في الشارع ويشكو وعندما تقول له قدم شكاوي يقدم لك حججا أنها لن يلتفت إليها من المسؤولين ،

او يقدم لك عذرا أقبح من ذنب أخشي أن يتم التنكيل والبطش بالتلاميذ ممن تقدم في حقهم الشكاية.

يا سيدي هل أقدمت علي هذه الخطوة حتي وان تم تجاهلك في المرة الأولي قدم مرة أخري فكتبت الإجابة لمن أدمن الطرق.

تسابق المدارس الخاصة لإثبات أنها الأحسن والأجدر تتسابق بشتي الطرق المشروعة وغير المشروعة المهم تظهر بصورة التفوق الذي يجعل الإقبال عليها كثيفا.وهذه أم الكوارث يتخرج الطالب من كليات الطب ولا يفقه شيئا إلا ما رحم ربي وضياع حقوق البسطاء الذين تعلموا في المدارس الحكومية وحصلوا علي 98بالمائة ونظرا لارتفاع التنسيق بسبب 100في المئة التي يحصل عليها طلاب المدارس الخاصة.

لا تتحقق أماني البسطاء وسنقدم العلاج الناجع.



ما دفعني للكتابة عن هذا الموضوع عدم الإهتمام بالمعلم وعدم الإهتمام يأخذ عدة صور أولها الإهتمام به علميا وتثقيفيا.

ثانيها الإهتمام به ماديا فحق علي الدولة ووزارة التربية والتعليم توفيرحياة كريمة لهؤلاء المعلمون الذين ينبغي علينا أن نقف لهم إجلالا وتعظيما هذا جانب معنوي.

أما الجانب المادي ما الذي دفع بعض المعلمين الي الدروس الخصوصية والتدريس في المراكز الخاصة،ببساطة متطلبات الحياة كثيرة وضغوط وظروف المعيشة قاسية جميعهم صغير سنهم يريد أن يكون أسرة ويبني بيتا وكبير سنهم عليه التزامات كيف سيوفيها بهذه الرواتب الزهيدة لا احد ينكر علي ذلك فمن ينكر فهو لايري حتي وان كان مبصرا.

ما دفعني للكتابة عن هذا الموضوع تدن صارخ للخدمات التعليمية،فصول مكتظة بالتلاميذ،تهوية سيئة ،طرق تعليمية دون المستوي لترقي لدولة بحجم دولتنا حاضرة العلم والثقافة وبلد العلماء.

ما دفعني أيضا التخبط في إتخاذ القرارات المصيرية التي تخص بناء الامة،تخص عصب الأمة أبنائنا الطلاب وانعدام الرؤية التي باتت شبه ضبابية.

ما دفعني أيضا للكتابة عن هذا الموضوع الحشو الذي اكتظت به المقررات الدراسية الذي أثقل كاهل التلاميذ والمعلمين علي حد سواء



هذا هو الداء وقد يظن البعض أنه داء عضال،لكن لكل داء دواء المهم تكون هناك نية حقيقة لكتابة ورقة علاجية ناجحة نشفي بها ونقوم من كبوتنا فالفرصة مازالت موجودة.

وأعتقد أن قيادتنا الوطنية الرشيدة لا تألوا جهدا في إيجاد دواء شاف ومعاف أن شاء الله .

<u>**عدة ركائز أساسية سأقدمها وهذا اجتهاد شخصي مني لا ارجوا به إلا وجه الله ورفعة محبوبتي مصر**</u>

<u>**الركيزة الأولي:**</u>

عقد ندوات صيفية في المدارس وتفعيل النوادي الصيفية هذه الندوات يحضرها الطلاب وأولياء الأمور والمعلمين علي حد سواء،يحاضر فيها تربويون متخصصون،ويتم فيها الدعوة إلي العلم والتعلم .



الركيزة الثانية:

الاصغاء الي الطلاب وأولياء الأمور والمعلمين علي حد سواء الاستماع إلي المشكلات ومحاولة حلولها لابالمسكنات أو بالحلول الوقتية لا نهتم بالمرض الذي ينتج عنه العرض.

الركيزة الثالثة:

الإهتمام بالمدارس الحكومية وهذا دور الدولة والتربية والتعليم والمؤسسات الخدمية عن طريق توفير التمويل والدعم التام الذي يسهم في زيادة عدد المدارس وعددهالفصول ونظافة المدارس مما يجعل الإقبال عليها واضح،واعتقد أن الحكومة سلكت هذا المسلك لادراكها لأهمية التعليم.

الركيزة الر ابعة :

الإهتمام بالمعلم وتوفير حياة كريمة والارتقاء به معنويا وهذا ما تفعله الدولة في عيد المعلم لكن نطالب بالزيادة والدعم المعنوي ولوحتي بشهادات تقديرية.

وكذلك توفير الدعم المادي من زيادة لرواتبهم وحوافزهم والنظر في أجورهم بعد سن التقاعد بما يفي حاجاتهم المعيشية وان شاءالله سيلاقي كلاما هذا قبولا لاننا نكتب حبا في بلدنا ونريد لها الخير.

الركيزة الخامسة:

النظر بعين الإعتبار في المقررات الدراسية وطرح الحشو منها،فضلا عن مراجعتها مراجعة لغوية دقيقة والتدقيق في آيات القرآن وتخريج الأحاديث ولابد أن يتولي متخصصون هذا الأمر.

الركيزة السادسة:

وضع سياسة تعليمية وبرنامج تعليمي يقوم علي أسس تربوية ليست نظرية فقط وانما إخراجها من مرحلة التنظير الي التفعيل مع نسب الأمر لأهله.



كذلك وضع خطة زمنية استراتيجية لتطوير التعليم لاتكون خطة علي الورق وتوضع في الإدراج وانما برنامج تربوي تنموي يضمن جودة التعليم.

الركيزة السابعة:

عقد دورات للمعلمين في كافة مراحل التعليم دورات مهارات للمعلم،بناء وتنمية قدرات المعلم في تفاعله مع ب،دورات حقوق وواجبات لتوضيح ما له وما عليه.

وفي نهاية كل دورة تعطي شهادة تميز ولا يرقي للدرجة الاعلي الا بعد اجتيازها.

الركيزة الثامنة :

استراجية إتخاذ القرار وتقوم علي دراسة شاملة ايجابيات وسلبيات ما سيتم اتخاذه من قرارات وقبل التنفيذ طرح هذه القرارات للمشاركة المجتمعية المشاركة الحقيقية واعي ما أقول.

الركيزة التاسعة:

المتابعة المستمرة للعملية التعليمية سواء في المدارس الحكومية أو الخاصة،متابعة فعلية ودخول الفصول مباغتة دون اخبار بموعد محدد للحضور أن أردنا حقا متابعة.

الركيزة العاشرة :

أن تكون هناك نوايا حقيقية للنهوض بالعملية التعليمية،والنوايا والضمائر يعلمها الله،لكن في اعتقادي اننا نمتلك النوايا الحقيقية ونمتلك القدرة علي النهوض ببلدنا الحبيب.

إذا ما تحققت هذه الركائز العشرة التي سنبني عليها اعتقد انها ستتحقق المعادلة.

ونحن قادرون بالفعل لا بالكلام قادرون علي النجاح طالما سنضع أيدينا في أيدي بعض وسنلتف حول قيادتنا الرشيدة.

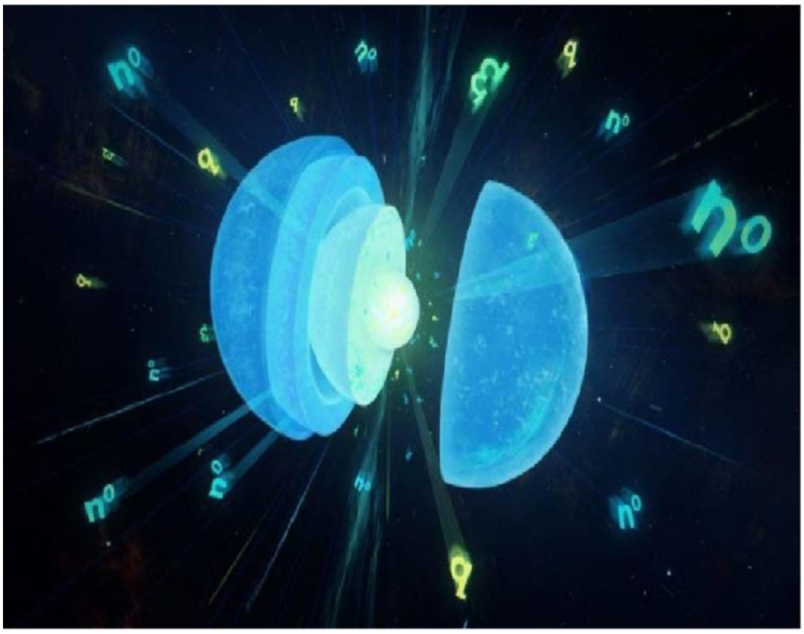
التزوَّد والطرق: آيات في الآفاق وفي الأنفس

أ.د. ناصر أحمد سنه، كاتب وأكاديمي مصري



"النجوم الطارقة/ النابضة":

في الآفاق الكونية - ومنذ أمد - انفجرت "النجوم النيوترونية" بصورة بالغة الشدة، وبقيت مخلفاتها في السماء على شكل أنوية ذات كثافة انضغاطية هائلة (نيوترونات، متعادلة الشحنة). و"النجوم النيوترونية" (Neutron Stars): أجرام سماوية ذات قطر متوسط يقدر بحوالي 20 كم، وكتلة النجم الواحد تتراوح ما بين 1,44 - 3 أضعاف كتلة الشمس. أما إذا كانت كتلته أكبر من هذا الحد، فيتحول في آخر عمره إلى ثقب أسود. ويتغير لمعان وتألق النجوم النيوترونية فعلياً، حيث تدور حول محورها بسرعة عالية تصل إلى (دورة كلّ 0,3 - 3 ثواني) مصدرة موجات راديوية وإشعاعات. وعندما ينتهي عمر نجم (هو أضخم من الشمس)، وينفد وقوده النووي، ينهار على نفسه تحت تأثير جاذبيته العظيمة، مكونا نجماً نيوترونياً شديد الكثافة حيث يصبح قطره عدة كيلومترات فقط، وهذا هو السر في سرعة دورانه. وقد تم اكتشاف العديد منها، ومن أشهرها: نباض الثور في سديم السرطان في برج الثّور (Crab Nebula). وفي الوقت الحاضر، هناك نحو 2000 نجم نيوتروني معروف في مجرة درب التبانة وسحب ماجلان، مُعظمها نجوم نباضة راديوية. تتركز النجوم النيوترونية في الغالب على طول قرص درب التبانة. ويختلف معدل دوران النباضين بين 01و0 و 8 ثوان وذلك بالنسبة للنابض المنفرد الذي ليس له تابع. وينقص معدل



نبضه بمعدل 10–15 في الثانية يتحدد عمره بنحو 10 ملايين سنة. ويمكن الاستماع لأصوات (الطرق) الناتجة عن هذا النجم، علما بأنها لا تصدر أصواتاً بل يتم تحويل الموجات الراديوية الصادرة منها إلى صوتية لذا سميت

"النجوم الطارقة/ النابضة". وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) (سورة الطارق).

وعلي جانب الأنفس.. ينبغي إذا أطال أحد الغيبة في سفر أو غيره ألا (يطرق) أهله ليلاًً.. كى لا يتخونهم، أو يجد عثراتهم، أو ينفر منهم. وفي عملية التزاوج والإخصاب الزوج وزوجته.. تأخذ الحيوانات المنوية (الحيامن) (الطارقة) السابحة (بسرعة نحو 10 أميال/ ساعة) زادها لرحلتها الهامة، وسفرها الهادف ـ غير الهين ـ داخل



الجهاز التناسلي للزوجة في نشاط كثيف، دون كلل أو ملل. وتعد زاد عدتها (Capacitation) للإخصاب. والتجمّع حول البويضة (طارقين) أبوابها. ويستهلك (الطرق) علي باب البويضة، محتويات الجسيم الطرفي للحيوان المنوي. ومن الحيامن من يسلك طرقاً خاطئة للوصول إليها، وهناك من يتعب، ويستنفد جسيماته قبل الولوج، فيعجز عن الإخصاب. ومع التلاقي.. تُقدم "الهدايا".. إنزيمات تفتح مغاليق قشرة البويضة الخارجية، ليحدث الاندماج مع نواتها. وعند الالتحام الناجح من حيوان منوي واحد قوي.. تكتسي البويضة المخصبة (الزيجوت) بستر واق لا يَسمح بمرور حيوانات منوية أخرى. وكل هذا وغيره في علم الله تعالي الذي يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)(سورة الشوري). ومن النجوم الطوارق، وهدي الزوج الطارق، إلي الحيامن الطارقة. إنه ـ سبحانه ـ يخلق من شيءٍ واحد كلَّ شيء، ويخلق من كلِّ شيءٍ شيئا واحداً". ولعله من أنجع الأمور وأجداها في بناء الجيل الحاضر هو تيسير سفرهم وطرقهم عوالمهم الداخلية وضربهم في سبيل حقائق الوجود الكلية عبر تحفيز عزم التدبر الشامل، وملكة التفكر المنظم، وتحبيب الإيمان والتعلم، وتمحيص الفكرة والخبرة، وتدريبهم على مطالعة كتاب الآفاق والأنفس المفتوح على مصراعيه لكل متدبر، متفكر، متعلم، مؤمن.

تزود، واطرق

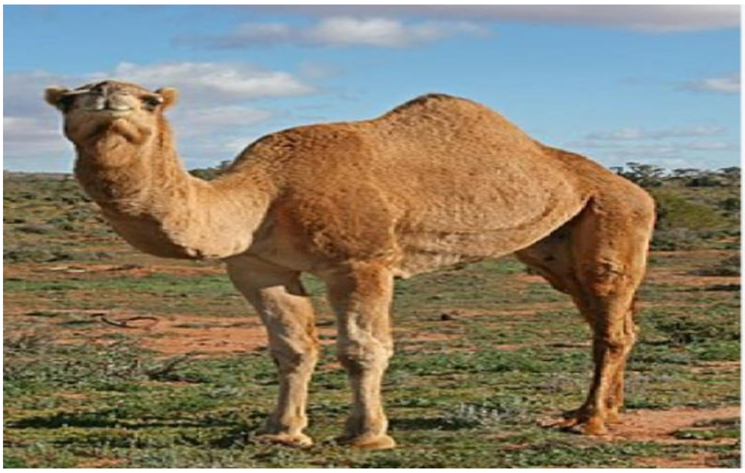
وأنت تأخذ زادك89 من الإيمان، والإيمان يزداد وينقص، تردد كلمات اليقين مع المؤذن خمس مرات في اليوم الليلة، وتذكر ربك، والذكر بابه أشمل وأوسع (لتطرقه) مُخبتاً، حامداً، شاكراً فيزيدك. وتتطهر طهارة الباطن قبل

طهارة الجوارح (لتطرق) باب مناجاته في الصلاة، والدعاء. وتطيل التزود - وقوفاً- بعد ركوعك لتسجد وتقترب وتطرق بابه كأفضل ما يكون الطرق.. ساجداً. إذا كانت لك حاجة عند الله (فاطرق) - بالدعاء- أبواب السماء، حتى يستجيب لك ويعطيك ما تحب. فالأرواح التي اكتسب زاداً من التصفية بالإيمان والمعرفة والمحبة ستطرق أبواب التحليق في سماواتِ الأفق الرسالي لرؤية "آيةَ قدرته، وختمَ ربوبيته، ونقشَ قلمه، على كل شيء، فينفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه".

ويغفل كثير من الناس عن الصيام في شهر شعبان، مع أنه زاد دسم (لطرق) باب شهر رمضان. فعن أسامة بن زيد، قال: قلت : يا رسول الله ، لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان ، قال : " ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم " (أخرجه النسائي في السنن الصغرى - كتاب الصيام- باب صوم النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي - حديث:2329 وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي حديث 2356). فلا ينبغي لمؤمن صادق العزم، عال الهمة أن يكون من الغافلين. وفي شهر شعبان/ أيضاً، حدث تحويل القبلة من بيت المقدس إلي المسجد الحرام. وتزوداً بهذا الحد الهام وتوسعاً في المفهوم: ما أكثَر ما ينبغي التحول عنه، من مراجعة الفكر والفعل، وإعادة التصور والتعقل، وضبط البوصلة والهدف ومن ثم يكون الطرق، علي كافة الصُعد، مجدياً.

وعلي الضفة الأخري من النهر.. تأخذ: الإبل، والدب القطبي، والأرنب البري، والفقمات، واللمنج، والسناجب، وقنفذ النمل الشوكي، والجرذان النوامة، وطيور اللقلاق، والكراكي، وخرشَنَة القطب الشمالي، وخطاف البحر القطبي (السنونو)، والقطقاط الذهبي، وطائر الليموزية (صاحب المنقار الطويل)، والكروان الأوربي، والبط البري، والبطاريق كبطريق أديلي، و"الإمبراطور"، وكثير من الزواحف والثعابين والسلاحف وأسماك السالمون الأحمر، والأسماك الرئوية، والقواقع والحشرات كالعناكب والخنافس وحشرة حفار الذرة الأوربي ويرقته وودود القز ويرقته وحشرة أنتاركتيكا وعثة الدب القطبي والقراد الخ زادها لصيامها.

وتحبس معظم الصباريات زادها من الماء، وتتحمل العطش في بيئات صحراوية جافة. وتخلع العديد من الأشجار، كشجرتي المشمش والتوت، عنها لباسها وأوراقها، فلا تمثل غذائي طيلة الشتاء. حتى إذا أتي فصل الربيع، اكتست حلة جديدة وازدهت بأوراق وثمار نضيدة. وأنت تخلع ملابسك، مُحرماً تيقن أن لِباسُ التَّقوى خَير لباس: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا



وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (الأعراف:26)، وكما تتزود بطعام وشراب للطريق قاصداً بيته (طارقاً) أبوابه، لا تنس خير الزاد: (التقوي)، ليفيض (سبحانه وتعالي) عليك من أنواره ومغفرته ورحماته. فالتزوّد الإيماني وتعهده ينعكس علي المرء بشحذٍ للهمَّة، وتهذيبٍ للنفس، وإعانة على الصبر، والتخلق بكريم الأخلاق، والإيمانُ مفتاح النجاح وبوصلته، وهو المُعزّزُ للعمل والديمومة والتميز. فكن

من المتميزين الطموحين الذين يسعون إلى التزود بالمعارف الجديدة، وتقوية مهاراتهم وقدراتهم، ورصد أهدافهم وغاياتهم، وتطوير ذواتهم وشخصياتهم لتطرق أبواب الحياة كأفضل ما يكون الطرق. فالحاجة لتنمية الشخصية أمر هام كأهمية الطعام للجسد، وتأخذ أبعادا عديدة منها تطوير المعارف والمهارات والاتجاهات الوجدانية من حيث التحفيز والعزيمة وامتلاك الهمة وتنظيم طريقة التفكير.

طوبي للمتزودين (الغرباء)



وأنت تعد حقائب هجرتك أو سفرك - والهجرة والسفر أنواع: حقيقية مادية (هجر المكان)، ومجازية معنوية (هجر العمل، والعامل)، ولكلٍ نيته الباعثة، ووجهته التي هو موليها (مكاناً وزماناً وعملاً). وإذا كان السفر "يُسفر" عن الكثير من فضاء المكان، وأحوال الزمان، وخصال الإنسان. فإن "زاده" - والزاد: المدخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت - يُخبرك عن نية ووجهة الهجرة والترحال، ومدة التجوال، وفترة طرق الأبواب حتي الاستقرار. إننا متزودون بقدر ما نحن مهاجرون مسافرون. ومن المسافرين من زاده الخيال والأحلام، فتراه يستجدى الذكريات ليشاهد الغائبين في أحلامه ويتحدث إليهم ويحقق ما يريد. فأحلامهم زاد بقائهم قادرين على ممارسة الحياة اليومية بما تحمل من مواقف وأحداث ومفاجآت. لكن ينبغي تحصيل الزاد من عمل وحب، وعطاء وبذل، وجهد وأمل لنستمتع بالأحلام الحقيقة. ومن غير الانسياق لمكسب أو مغنم، بل من أجل الارتقاء بالنوع البشري كله إلى الكمالات الإنسانية ستتزود الأجيال المنطلقة إلى الغد - والمهاجرة إلى جهات الأرض الأربع - بزاد وافر من عشق العلم، وعزم العمل، والبيئة الصالحة، والبحث المنهجي.

كما إن الهجرة أمر فطري عند كثير من المخلوقات وعلي رأسها الطيور والأسماك والزواحف. وبالرغم من تأثرهما بالظروف الخارجية، إلا أنهما يمتلكان آليات داخلية، ونشاطًا هرمونيًا تنبههما قبل أشهر إلى وقت الهجرة. فقبل موسم البرد وشُحّ الغذاء، ولأجل التكاثر ووضع الأعشاش، تهاجر الطيور لبيئات أفضل، وتبقى

فيها حتى يعود النهار ليصبح أطول، ويتوافر الغذاء بشكل أكبر، ويصبح الطقس مقبولاً في موطنها فتعود له لتهاجر ثانية في العام التالي. وثمة تحضيرات قبل الهجرة، كالتزود من مخزون وافر من مغذيات الجسم لتأمين الطاقة الكافية لرحلة الهجرة.

ولعل بالتزود بالحلول الناجعة وتهيئة كافة المناخات لـ "موسم عودة العقول المهاجرة" وإعادة توطينها في الجنوب سيخدم صناعة المعرفة، ومجتمع المعلومات، ومشاريع التنمية، والنهضة والتقدم. وسيحل مشكلات، ويرأب فجوات، ويوازن ديموغرافيات. فالكفاءات البشرية رصيد استراتيجي كبير للطاقات الذهنية والمعارف العلمية، وقوي العمل الاقتصادية. ونأمل قريباً في عودة الآلاف المؤلفة من القامات العلمية، والكفاءات البشرية وقد حطت رحالها عند أعشاشها الأولي، مستكملة مشوارها في أوطانها، مُفرّخة أجيالاً تحمل مشاعل النور، وتواصل المسير. والخلاصة: الزيادة محمودة، ومكروهة. فالزيادة من بسطة في العلم والجسم محمودة، وكذا زيادة الله الذين اهتدوا هدى الخ. ومن الزيادة المكروهة: زيادة النفور والمرض والعذاب والتخسير والكفر. وعديدة هي نماذج المتزودين، والزيادة: ضم شيء آخر إلى ما عليه الشيء نفسه (زدته فازداد)، ومن ثم يطرقون الأبواب ويضربون السبل. إنها سمة عامة مبثوثة، وسنة كونية ملموسة. فلنقف ـ كثيراً ـ لتأمل نماذجهم بين المخلوقات، وتدبر مظاهرهم وشواهدهم.. أختاماً مجبولة مطبوعة، وأعمالاً كسبية محسوسة.

﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾

الباحث: أبو خير الدين

اتفق المالكية، والشافعية، والحنابلة على ضرورة وجود الولي في النكاح فكل نكاح يقع بدون ولي أو من ينوب منابه يقع باطلاً، فليس للمرأة أن تباشر عقد زواجها بحال من الأحوال سواء كانت كبيرة أو صغيرة عاقلة أو مجنونة إلا أنها كانت ثيبة لا يصلح زواجها بدون إذنها ورضاها. وخالف الحنفية في ذلك فقالوا: إن الولي ضروري للصغيرة والكبيرة المجنونة، أما البالغة العاقلة سواء كانت بكراً أو ثيباً فإنها صاحبة الحق في زواج نفسها ممن تشاء، ثم إن كان كفأً فذاك، وإلا فلوليها الاعتراض وفسخ النكاح[1].



وقد استدل الجمهور على مذهبهم بعدة أدلة من الكتاب والسنة[2]، ومن بين أدلتهم قوله تعالى:

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾[البقرة: 230] الآية.

قال الإمام الشافعي: "في هذه الآية دلالة على أن النكاح يتم برضا الولي"[3].

قال ابن العربي: "نهى الله تعالى أولياء المرأة من منعها عن نكاح من ترضاه، **وهذا دليل قاطع على أن المرأة لا حق لها في مباشرة النكاح، وإنما هو حق الولي**"[4].

---

1 الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، 4/50-51.

2 ينظر: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، المؤلف: حسين بن عودة العوايشة، 5/130. صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، كمال بن السيد سالم، 3/135. وغيرها من كتب الفقه.

3 تفسير الإمام الشافعي، أحمد بن مصطفى الفرّان، 1/378.

4 أحكام القرآن، ابن العربي، 1/271-272.

وقال السيوطي: فيه تحريم العضل على الأولياء كما بينه سبب نزولها **واعتبار الولي في النكاح**[5].

وقال ابن عجيبة: "**وفيه دليل أن المرأة لا تزوج نفسها**"[6].

تفسير الآية:

روى الواحدي في سبب نزول هذه الآية بسنده إلى معقل بن يسار -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: «كنت زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوّجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليك أبداً. وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: فقلت: الآن أفعل يا رسول اللَّه، قال: فزوجها إياه»[7].

بناء على سبب النزول فإن المخاطب بقوله تعالى: ﴿**فلا تعضلوهن**﴾ أولياء النساء؛ نهوا أن يمنعوهن من مراجعة أزواجهن، وإنما يتحقق المنع ممن في يده الممنوع وهو الإنكاح، ولو كان للمرأة إنكاح نفسها بغير وليها إياها، لم يكن لنهي وليها عن عضلها معنى مفهوم، إذ كان لا سبيل له إلى عضلها، وذلك أنها متى أرادت النكاح جاز لها إنكاح نفسها، فدل ذلك على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهنّ[8].

وجه الدلالة على الحكم:

وجه الدلالة في الآية أن الله تعالى يخاطب أولياء النساء فينهاهم عن منعهن من الزواج بمن يرضينه لأنفسهن زوجاً، إذ لو كانت المرأة تملك أن تلي عقد النكاح لم يكن لعضل الولي معنى، ولو لم يكن لهؤلاء الأولياء حق المنع لما كان لخطابهم بمثل هذا وجه لأنه كان يكفي أن يقول للنساء: إذا منعتن من الزواج فزوجوا أنفسكن.[9]

---

[5] الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، ص: 56.

[6] البحر المديد، ابن عجيبة، 260/1.

[7] أسباب النزول، الواحدي، ص: 81. وأخرجه البخاري في صحيحه،كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي، 16/7.

[8] ينظر: جامع البيان، الطبري، 26/5. أنوار التنزيل، البيضاوي، 143/1-144. التحرير والتنوير، ابن عاشور، 426/2. التفسير المنير، الزحيلي، 355/2.

[9] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعالبي، 180/2. معالم التنزيل، البغوي، 312/1. الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، 47/4.

المناقشة:

أورد على هذا الاستنباط جملة اعتراضات للعلماء أهمها: منع أن يكون قوله تعالى: ﴿**فلا تعضلوهن**﴾ خطابا للأولياء؛ وإنما هو خطاب للأزواج المطلقين، على اختلاف في معنى العضل الصادر من الأزواج إلى قولين:

الأول: أن يمنعوهن من الزواج بعد انقضاء العدة، وذلك بأن لا يتركنهن يتزوجن من شئن من الأزواج.[10]

الثاني: أن يمنعوهن من الزواج قبل انقضاء العدة، وذلك بتطويل العدة بأن يطلقوهن ثم يراجعوهن ثم يطلقوهن.[11]

وإذا كان الخطاب ليس للأولياء فإنه لا يصح استنباط اشتراط الولاية في الزواج من الآية، لأن هذا الاستنباط مبني أساسا على القول بأن الخطاب للأولياء.

استدل القائلون بأن الآية خطاب للأولياء بما ورد في سبب النزول الذي سبق ذكره[12]، وأجاب القائلون بأنها خطاب للأزواج عن هذا الاستدلال بأمرين:

الأمر الأول: أن المحافظة على نظم كلام الله تعالى أولى من المحافظة على خبر الواحد.

قال فخر الدين الرازي: "قوله تعالى: ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن**﴾ الآية، جملة واحدة مركبة من شرط وجزاء، فالشرط قوله: ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن**﴾ والجزاء قوله: ﴿**فلا تعضلوهن**﴾ ولا شك أن الشرط وهو قوله: ﴿**وإذا طلقتم النساء**﴾ خطاب مع الأزواج، فوجب أن يكون الجزاء وهو قوله: ﴿**فلا تعضلوهن**﴾ خطابا معهم أيضا، إذ لو لم يكن كذلك لصار تقدير الآية: إذا طلقتم النساء أيها الأزواج فلا تعضلوهن أيها الأولياء وحينئذ لا يكون بين الشرط وبين الجزاء مناسبة أصلا وذلك يوجب تفكك نظم الكلام وتنزيه كلام الله عن مثله واجب.

فهذا كلام قوي متين في تقرير هذا القول، ثم إنه يتأكد بوجهين آخرين:

---

10 ينظر: الكشاف، الزمخشري، 277/1.

11 ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، 235/1. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 159/3.

12 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 455/6. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 319/2.

- الأول: أن من أول آية في الطلاق إلى هذا الموضع كان الخطاب كله مع الأزواج، والبتة ما جرى للأولياء ذكر فكان صرف هذا الخطاب إلى الأولياء على خلاف النظم.
- والثاني: ما قبل هذه الآية خطاب مع الأزواج في كيفية معاملتهم مع النساء قبل انقضاء العدة، فإذا جعلنا هذه الآية خطابا لهم في كيفية معاملتهم مع النساء بعد انقضاء العدة كان الكلام منتظما، والترتيب مستقيما، أما إذا جعلناه خطابا للأولياء لم يحصل فيه مثل هذا الترتيب الحسن اللطيف، فكان صرف الخطاب إلى الأزواج أولى"[13].

ثم قال: "لما وقع التعارض بين هذه الحجة وبين الحجة التي ذكرناها كانت الحجة التي ذكرناها أولى بالرعاية لأن المحافظة على نظم الكلام أولى من المحافظة على خبر الواحد وأيضا فلأن الروايات متعارضة"[14].

الأمر الثاني: أن الروايتين في سبب النزول تعارضتا؛ حيث يروَى في سبب نُزُولِ هذه الآيةِ وجهان: الأول: حديث معقل بن يسار الذي تقدم ذكره، والثاني: ما رواه مجاهد والسدي: «أَنَّ جابر بن عبد الله، كانت له ابنةُ عَمٍّ فطلقها زَوْجُها، وأراد رجعتها بعد العِدّة؛ فأَبَى جابر؛ فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ، وكان جابرٌ يقولَ: فِيَّ نزلت هذه الآية»[15]؛ فعلى السبب الأول يكون المخاطبون هم الأولياء، وعلى هذا السبب الأزواج.

قال ابن عادل الحنبلي[16]: "وإذا تعارضت الروايتان تساقطتا فبقي ما ذكرناه من التمسك بنظم كلام الله تعالى سليما عن المعارض"[17].

أجاب القائلون بأن الخطاب للأولياء على هذا الاعتراض بما يلي:

أولا: قالوا: لو كانت الآية خطابا مع الأزواج لكانت إما أن تكون قبل انقضاء العدة أو بعد انقضائها؛ فالأول باطل لأننا لو حملنا الآية على ذلك المعنى كان تكرارا من غير فائدة، لأنهم خوطبوا بذلك من قبل، ولأنه نهى عن العضل حال حصول التراضي، ولا يحصل التراضي بالنكاح إلا بعد التصريح

---

[13] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 6/454-455.
[14] نفسه، 6/455.
[15] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، 4/160-161.
[16] عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقيّ، أبو حفص، سراج الدين: صاحب التفسير الكبير (اللباب في علوم الكتاب)، توفي سنة (880هـ). الأعلام، الزركلي، 5/58.
[17] المصدر السابق، 4/160-161.

بالخطبة، ولا يجوز التصريح بالخطبة إلا بعد انقضاء العدة. والثاني أيضا باطل لأن بعد انقضاء العدة ليس للزوج قدرة على عضل المرأة، فكيف يصرف هذا النهي إليه[18].

ثانيا: قالوا قوله تعالى: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ معناه: ولا تمنعوهن من أن ينكحن الذين كانوا أزواجا لهن قبل ذلك[19].

وقد رد فخر الدين الرازي الجواب الأول بقوله: "ويمكن أن يجاب عنه بأن الرجل قد يكون بحيث يشتد ندمه على مفارقة المرأة بعد انقضاء عدتها وتلحقه الغيرة إذا رأى من يخطبها، وحينئذ يعضلها عن أن ينكحها غيره إما بأن يجحد الطلاق أو يدعي أنه كان راجعها في العدة، أو يدس إلى من يخطبها بالتهديد والوعيد، أو يسيء القول فيها وذلك بأن ينسبها إلى أمور تنفر الرجل عن الرغبة فيها، فالله تعالى نهى الأزواج عن هذه الأفعال وعرفهم أن ترك هذه الأفعال أزكى لهم وأطهر من دنس الآثام"[20].

ورد الجواب الثاني كذلك بحجة أن ذلك الكلام لا ينتظم إلا إذا جعلت الآية خطابا للأولياء. فهذا الكلام لا يصح، وبأن معنى قوله تعالى: ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ من يريدون أن يتزوجوهن فيكونون أزواجا والعرب قد تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه[21].

الاستنتاج:

أولا: اشتراط الولاية في النكاح له أدلة كثيرة من الكتاب والسنة[22]. وهو مذهب جمهور أهل العلم، وهو المعتمد عند المالكية والشافعية والحنابلة، وبه قال جمع من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم من فقهاء الأمصار[23].

ثانيا: ارتباط المعنى المستنبط بالآية صحيح أيضا؛ ويجاب عما أورده الرازي وغيره بما يلي:

---

18 ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 455/6.
19 ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 455/6. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، 162/4.
20 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 455/6.
21 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 455/6. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، 162/4.
22 فقه السنة، سيد سابق، 125/2-127. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، 6572/9.
23 الإشراف على مذاهب العلماء، ابن المنذر، 14/5.

أولا: مرجع الضمير الذي هو عمدة الفخر الرازي فيما ذهب إليه يمكن أن يجاب عنه بما قاله الآلوسي في تفسيره حيث قال –بعد ذكر سبب نزول الآية–:

"وعليه يحمل الأزواج على الذين كانوا أزواجا، وخطاب التطليق حينئذ إما أن يتوجه لما توجه له هذا الخطاب ويكون نسبة التطليق إلى الأولياء باعتبار التسبب كما ينبئ عنه التصدي للعضل، وإما أن يبقى على ظاهره للأزواج المطلقين، ويتحمل تشتيت الضمائر اتكالا على ظهور المعنى، وقيل –واختاره الزمخشري– إنه لجميع الناس، ويتناول عضل الأزواج والأولياء جميعا، ويسلم من انتشار ضميري الخطاب والتفريق بين الإسنادين مع المطابقة لسبب النزول، وفيه تهويل أمر العضل بأن من حق الأولياء ألا يحوموا حوله، وحق الناس كافة أن ينصروا المظلوم، وجعل بعضهم الخطابات السابقة كذلك وذكر أن المباشرة لتوقفها على الشروط العقلية والشرعية توزعت بحسبها، كما إذا قيل لجماعة متعددة أو غير محصورة: أدوا الزكاة، وزوجوا الأكفاء، وامنعوا الظلمة، كان الكل مخاطبين، والتوزع على ما مر"[24].

ثانيا: أما تعارض روايات النزول فيجاب عنه بأن رواية معقل بن يسار أخرجها البخاري في صحيحه وغيره، فهي صحيحة[25]، أما رواية جابر بن عبد الله فقد أخرجها الطبري[26] من طريق عمرو بن حماد عن أسباط وهي طريق ضعيفة لضعف أسباط[27]، ولذا قال ابن كثير في تفسيره: "والصحيح الأول"[28] –يعني حديث معقل– وتبعه السيوطي في لباب النقول[29].

ثالثا: أكثر العلماء والمفسرين على أن الآية خطاب للأولياء[30]، بل حكى الواحدي إجماع المفسرين على ذلك حيث قال: "وفي الآية ما يقطع به على صحة قول من قال: لا نكاح إلا بولي لإجماع المفسرين أن الخطاب للأولياء، لو صح نكاح بدون ولي لم يتصور عضل، ولم يكن لنهي الله عن العضل معنى"[31].

---

24 روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، 538/1.

25 ينظر: المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني، 284/1. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، ص: 37.

26 جامع البيان، الطبري، 21/5.

27 ينظر: هامش رقم: (1) أسباب النزول، الواحدي، ص: 25.

28 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 632/1.

29 لباب النقول، السيوطي، ص: 36.

30 تفسير القرآن، السمعاني، 235/1.

31 التفسير الوسيط، الواحدي، 340/1.

ريان جاء ليذكركم أنكم أمة واحدة ورحل



- بقلم فضيلة الشيخ أحمد على تركى
- مدرس القرآن الكريم بالأزهر الشريف

خرج من ضيق البئر إلى سعة الجنة .

من كفالة والديه إلى كفالة إبراهيم وسارة عليهما السلام

🌴 عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم و سارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة .

رواه أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح

مشهد التفاعل مع الطفل ريان ثم تحمُّله كل هذا الوقت لهذه الإصابات التي ألمّت به وهذه المصروفات الباهظة والجهود المضنية لإنقاذه، وهذا التعلق الشديد لنجاته ثم الفرحة الغامرة عند خروجه، ثم بعد قليل من هذا الخروج تصعد روحه لبارئها، فسبحان الله !

موقف هذا الطفل أعطانا الروح والأمل ثم هو الآن يعطينا الصبر والاسترجاع .

فاللهم لك الحمد على قضاءك ، فالحكمة من هذا كله منها ما هو خفي عنا، ومنها ما هو ظاهر لبعضنا.

🌴 والذي أراه من حكمة الله البالغة في هذا الموقف :

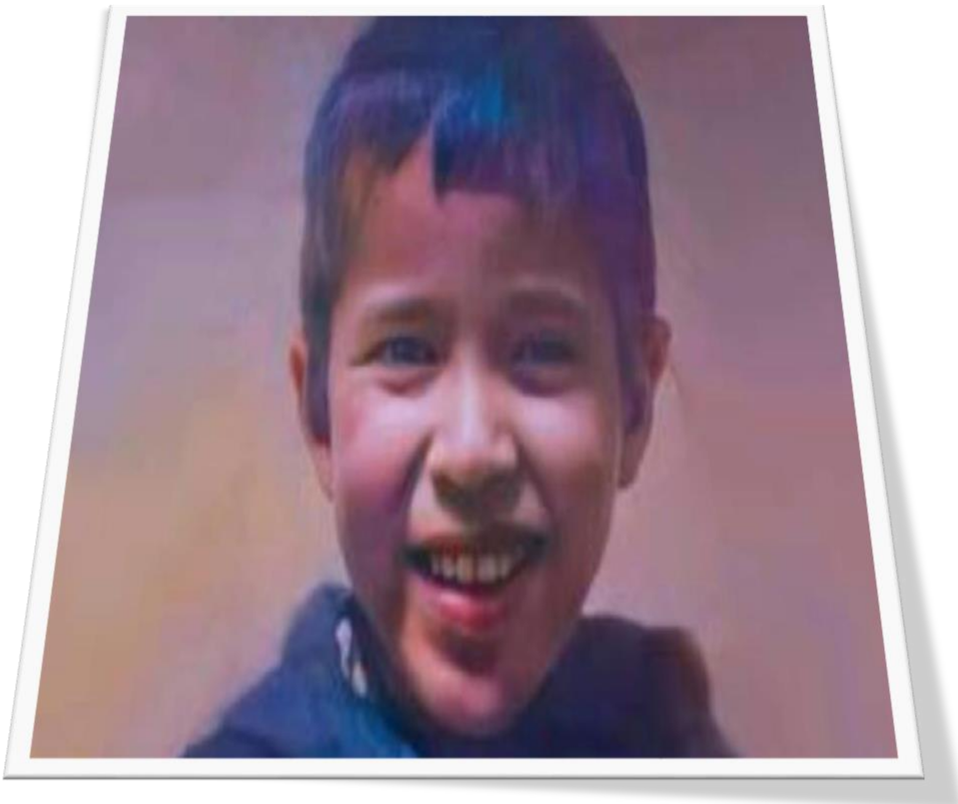
أن الله سبحانه وتعالى جمع قلوبنا على شيء قد يتكرر في أماكن كثيرة ولا يحدث مثل هذا الاجتماع والائتلاف ، والمعنى أن الله قادر على جمع قلوبنا وائتلافها رغم هذا التباعد الكبير والتنافر الشديد ، ولكن لأنه العليم فهو الذي يقدّم ويؤخر ويعطي ويمنع ويرفع ويخفض .

فحكمته لا يحيط بها أحد ، ولا يستطيع تخيل مجراها أحد ، فلا تيأسوا من روح الله ولا تظنوا به إلا خيراً .

فبالأسباب الضعيفة تجتمع الأمة ، فهو الذي بيده القلوب يقلبها كيف يشاء وهو الحكيم الخبير .

فإنا لله و إنا إليه راجعون

اللهم اجعله يسبق أهله إلى الجنة و يأخذ بأيديهم إليها و أخلف لهم يارب خيراً منه .



🌴 الله تعالى له الحكم الباهرة فيما يبدو للناس شر محض لكنه والله شر من وجه وخير من وجوه ؛ والخير كله في يديك والشر ليس إليك .

ألم تر كم الرحمات التي نزلت في قلوبنا .

ألم تر إلى تلك الأخوة الإيمانية التي أيقظها هذا الفتى بيننا .



ألم تر إلى كم الدعوات و
التضرعات التي رفعت لله و
هو يحب ذلك و يجازي عليه و
لا سبيل إلى ذلك إلا بالمحن .

ثم ما يدريك ما يخبؤه الغيب .

لقد رحم الله الأبوين في قصة
موسى و الخضر بقتل ولدهما
.

بل رحم الولد أيضاً .

نحن عبيد جهلة لا نحيط
بالعواقب .

نقف أمام رب رحيم كريم
حكيم .

نثق في عدله و فضله و
حكمته و رحمته ونرضى بحكمه لثقتنا في حكمته ولا نقول إلا ما يرضي ربنا .

و في حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال :

إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته :

قبضتم ولد عبدي ؟

فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : فماذا قال عبدي ؟
فيقولون : حمدك واسترجع .

فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد .

ربنا سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم :

{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً
وَاحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ }

فالرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في الحديث الذى
ذكرناه سابقاً :

أولادُ المؤمنين في جبلٍ في الجنةِ ،
يكفُلهم إبراهيمُ وسارةُ ، حتى
يردَّهم إلى آبائهم يومَ القيامةِ.

إذا مات ولد العبد قال اللَّه
لملائكته

قبضتم ولد عبدي

فيقولون نعم

فيقول قبضتم ثمرةَ فؤادِه

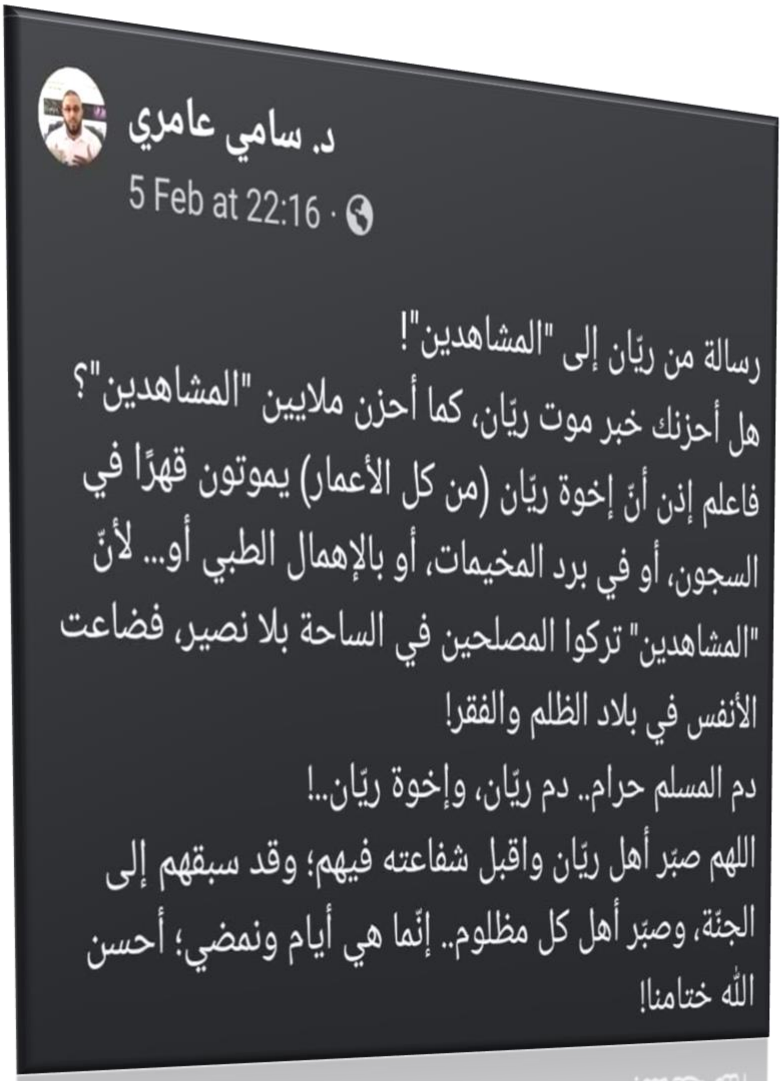
فيقولون نعم

فيقول ماذا قال عبدى

فيقولون حمدك واسترجعَ

فيقول اللَّه

ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه
بيت الحمد .



🌴 خبر موتك يا صغيري كم كان موجعًا وكنا نأمل أن تخرج ولكن قدر اللهُ وما شاءَ فعل وإنا لله
وإنا إليه راجعون

🌴 خبر موتك برغم مرارته إلا أن فيه بشارة إجتماع أمتنا على قضية واحده ورأينا قوله ﷺ (واعتصموا) .

🌴 خبر موتك ليس مجرد خبر بل هو إشعار للجميع بأن الحدود والحواجز والتأشيرات التي وضعت بيننا ما هي إلا خطوط تحتاج إلى حذف ومسح وأن نتلاحم بلا حواجز .

🌴 خبر موتك ذكرنا بأن لنا أطفال يموتون من البرد يحتاجون من الدعم والمال والمواساة الكثير والكثير ويكفينا عارًا أن نرى طفلا مسلمًا يموت من البرد .

🌴 خبر موتك وضع حدًا لهؤلاء الذين يريدون أن يشعلوا الفتن بينا شعوبنا المسلمة مثل المغرب والجزائر وغيرهما

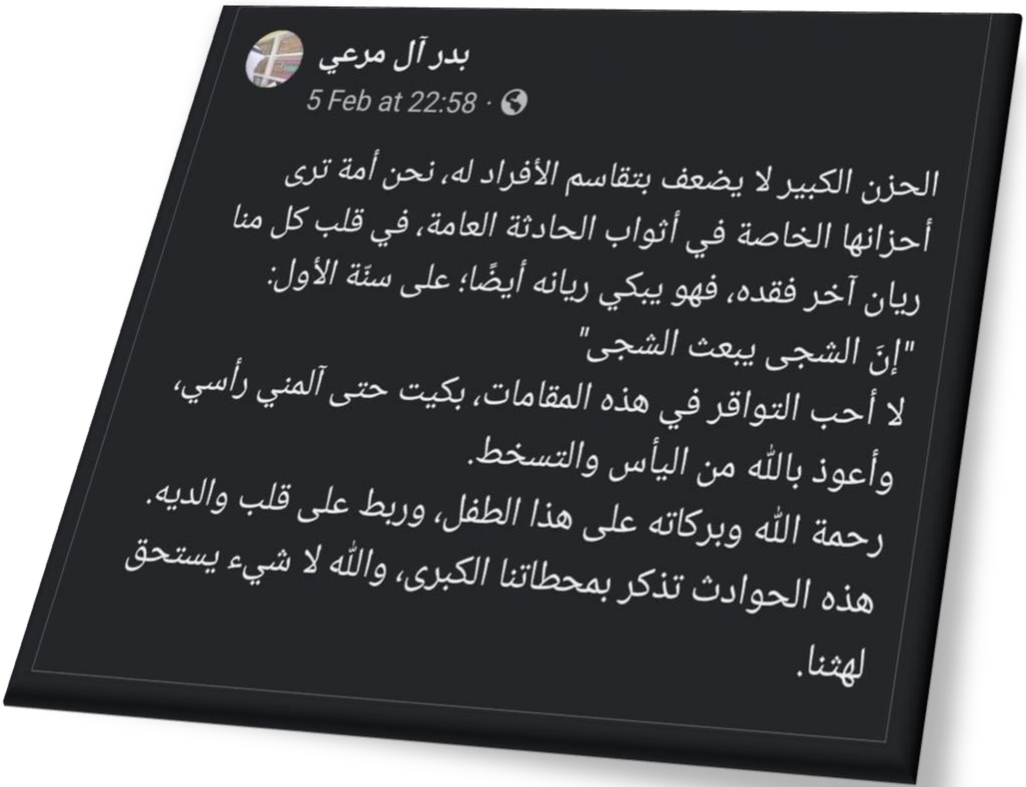
ويعلن لهم :

إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون

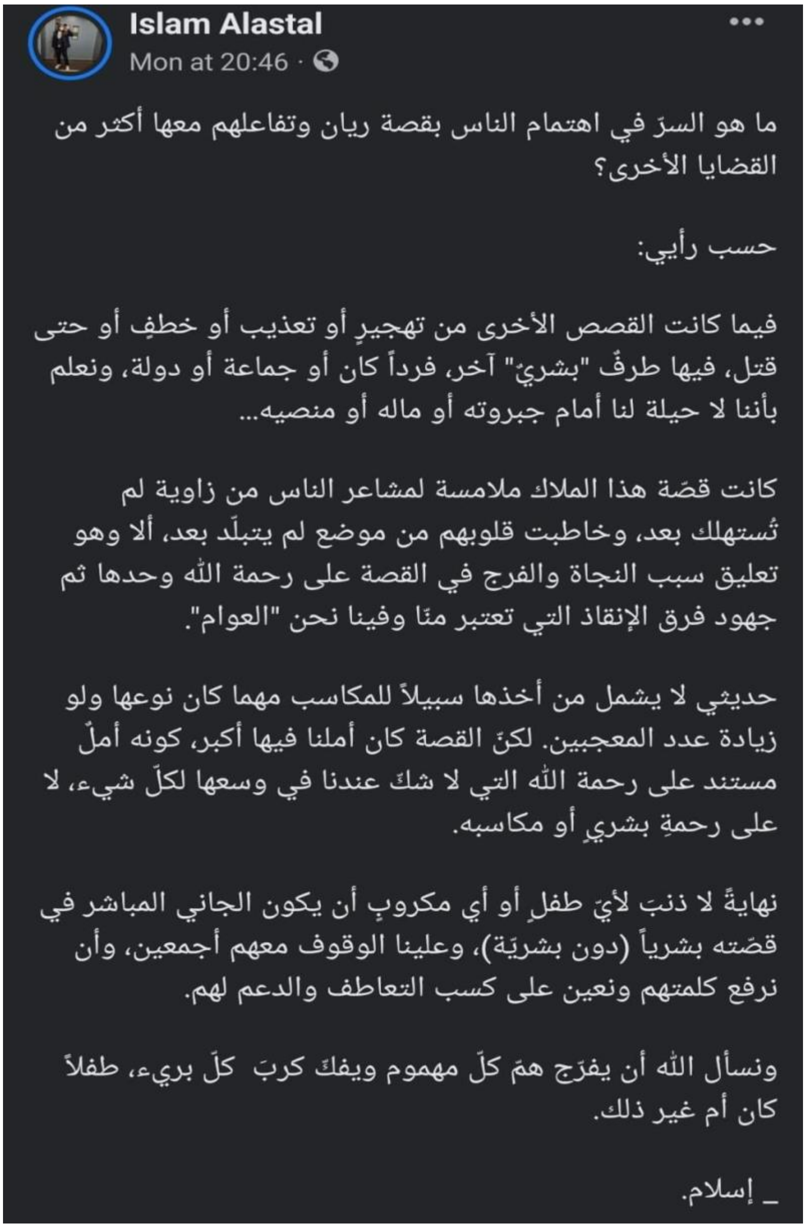
اللهم اربط على قلوب أهله وعوضهم خيراً واجعله زخرًا لهم في الآخرة يا رحمن يا رحيم .

أيُّ وجع أوجعتنا به يا ريان ؟

أي ألمٍ آلمتنا به يا بُنيّ؟



قتلت فرحتنا وجرحت قلوبنا .


Islam Alastal
Mon at 20:46 ·

ما هو السرّ في اهتمام الناس بقصة ريان وتفاعلهم معها أكثر من القضايا الأخرى؟

حسب رأيي:

فيما كانت القصص الأخرى من تهجيرٍ أو تعذيب أو خطفٍ أو حتى قتل، فيها طرفٌ "بشريّ" آخر، فرداً كان أو جماعة أو دولة، ونعلم بأننا لا حيلة لنا أمام جبروته أو ماله أو منصبه...

كانت قصّة هذا الملاك ملامسة لمشاعر الناس من زاوية لم تُستهلك بعد، وخاطبت قلوبهم من موضع لم يتبلّد بعد، ألا وهو تعليق سبب النجاة والفرج في القصة على رحمة الله وحدها ثم جهود فرق الإنقاذ التي تعتبر منّا وفينا نحن "العوام".

حديثي لا يشمل من أخذها سبيلاً للمكاسب مهما كان نوعها ولو زيادة عدد المعجبين. لكنّ القصة كان أملنا فيها أكبر، كونه أملٌ مستند على رحمة الله التي لا شك عندنا في وسعها لكلّ شيء، لا على رحمةِ بشريٍ أو مكاسبه.

نهايةً لا ذنب لأيّ طفلٍ أو أي مكروبٍ أن يكون الجاني المباشر في قصّته بشرياً (دون بشريّة)، وعلينا الوقوف معهم أجمعين، وأن نرفع كلمتهم ونعين على كسب التعاطف والدعم لهم.

ونسأل الله أن يفرج همّ كلّ مهموم ويفك كربَ كلّ بريء، طفلاً كان أم غير ذلك.

_ إسلام.

العالم كله انتظر خروجك ولأول مرة منذ زمن تتوحد الأمة بالدعاء على قلب رجل واحد كل ذلك كان لأجلك ، لكنك آثرت الرحيل على البقاء ، عند مالك الملك وملك الملوك ، تطير بجناحيك وتحلق عاليا في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

اللهم صبراً لوالديه وأهله وذويه ومحبيه .

اللهم أجرا لكل من تعب وجد واجتهد وسهر وحفر وثابر وصبر .

🌴 تذكرتُ موقفا يناسب هذا الحدث :

ولكني أبدأ بذكر هُدى الله لنا في مثل هذا :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .

إنا لله وانا إليه راجعون .

لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار

اللهم اجعله فرَطًا لوالديه .

وأقسمُ بالله إن العينَ لتدمع القلبَ يحزنُ عليه وعلى كل مسلم مظلوم أو مُستضعف ولا نقول إلا ما يُرضي ربّنا .

🌴 الموقف :

قبل سنوات في أحد مخيمات السوريين في شتاء شديد البرد ، خرجت امرأةٌ من الخيمة تطلب شيئا من جيرانها ، عادتْ لتجد رضيعَها مُتجمّدًا .

كان حدثًا مُحزنًا جدا

انتشر الخبر وعلِم رجلٌ غني من أهل الخير وبكى بكاءً شديدا كأنّه يتقطّع ليس على موت الرضيع بل على تقصير المسلمين تجاه إخوانهم المكلومين والمستضعفين والفقراء .

وأنفق من ماله أصنافا من المساعدات والدعم لهذا المُخيّم وما حوله وكان من أعظم أسباب الخير على المسلمين في هذا المكان ، وأحيا الله به أُمّةً من الناس وأيقظ ضمائر كثير من الغافلين .

هذا مجرد إحدى صور الخير الذي علِمتُه من هذا الحدث ، وما خفي من لُطف الله أعظمُ .

وما يزالُ العبدُ بعلمه بالله وحُسن ظنّه به وتدَبُرِه يرى رحمةَ الله ولُطفه وحكمتَه في خلق الله وأمرِه وقدَرِه .

واللهُ تبارك وتعالى عليمٌ حكيمٌ رحيمٌ ودود ولا يظلمُ مثقال ذرة وهو غنيٌ عن العالمين وهو لطيفٌ خبير .

والمؤمن صابرٌ مُحتسِبٌ مُحسنُ الظن بربِّه، أمرُهُ كلُّه له خيرٌ ؛ إن أصابته سراءٌ شكر وإنْ أصابته ضراء صبَر .

والولدُ قد سبق والديه إلى رفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا والحمد لله أن قبضه على الفطرة .

ولعلّه يُحي بموته غيره من أطفال المسلمين الذين يموتون جُوعا أو قتلا أو غرقًا في قوارب الهروب إلى الغرب أو بسبب فساد الصحة أو غير ذلك .

وظنُّنا في الله ظنُّ الحق فهو أرحمُ الراحمين .

وفى الحديث النبوى الشريف :

🌴 عن أبي حسان قال :

قلت لأبي هريرة إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟

قال نعم :

صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة .

رواه مسلم

ففي الوقت الذي تباعنا فيه جميعا ما حدث للطفل المغربي ريان اسأل الله له الرحمة والصبر لذويه إلا أنه كما ألمني موته ألمني حالة العشوائية التي وصلنا اليها علي صفحاتنا .

فمئات الصفحات والمواقع والشخصيات العامة يكتبون عن نجاته من أول يوم دون تثبت ودون تحقق ولم نكلف أنفسنا بالرجوع إلي المصادر الرسمية .

إن العشوائية في النقل عند الكثير إلا مارحم ربي أصبحت للأسف هي المسيطرة وأصبح هذا هو واقعنا المعاصر كثير من النشر والمشاركات لأمور قد تؤثر تأثيرا كبيراً علي أسر ومجتمعات بل ودول بأكملها دون التأكد والتبين ، مما يترتب على ذلك من أثار سيئة من الممكن أن تقضى على الأخضر واليابس .

إن حالة ريان تؤكد لنا مقدار العشوائية التي وصلنا إليها وهذا ما تفعله بنا الآلة الإعلامية ، مع أن الله قد أرشدنا إلي المنهج السليم في المعاملات فقال تعالي :

" فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " .

رحم الله ريان وصبر والديه وبارك الله في كل من شارك في محاولة إنقاذه .

🌴 وأخيرا أقول :

الدفاع المدني أراد ريان في نور الدنيا ، والله أراده في نور جناته .

وكأن وجوده في الدنيا وخروجه منها لسبب لا يعلمه إلا الله .



يكفى أنه وحد الامه على
قلب رجل واحد ورحل .

رحمك الله يا ريان .

يقول رسول الله ﷺ :

إذا مات ولد العبد .

قال الله لملائكته :

قبضتم ولد عبدي ؟

فيقولون: نعم

فيقول : قبضتم ثمرة
فؤاده ؟ فيقولون : نعم

فيقول : فماذا قال عبدي
؟ فيقولون : حمدك
واسترجع .

فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد .

رواه الترمذي

فى رغم الألم والوجع فى قصة وفاة الطفل ريان .

إلا أنه حينما أسأل نفسى

لو تخيلنا أنه إستطعنا أن نسأل ريان الأن أكنت تحب ان تخرج من هذا البئر سالما معافا وتعود إلى الدنيا مرة أخرى .

لقال لنا أن هذا البئر الضيق جدا العميق جدا هو أوسع باب للخروج من ضيق الدنيا إلى سعة الأخرة وجنة عرضها السماوات والارض .

جعله الله شفيعا مجابا لوالديه وربط الله على قلبيهما .

ليتقبلا أمر الله بقلوب راضية بقضائه ويفوز كلاهما بمنحة الله إليهم .

ريان محلقا فى الجنة الان .

انه اليقين فهو لم يجرى عليه القلم بعد .

رحمك الله يا ريَّان ؛ رحمك الله يا ريَّان كم تألمت وكم عانيت فى ذلك البئر .

لقد كنت أتعجب لحالك يا صغيرى :

كيف تحملت ظلمة البئر و ضيق المكان و الجوع و العطش و الوحدة و الآلام و الجراح التى كانت فى جسدك الضعيف يا حبيبى ؛ و الله لقد تحملت من الآلام النفسية و الجسدية ما لا يتحمله جبل من الجبال .

والله لقد حزنت لموتك و كأن ابنى هو الذى مات و أنا أكتب كلمات فى وداعه .

لكن عزائى أنك ذهبت إلى مَن هو أرحم بك من أمك و أبيك و الناس أجمعين ؛ فلقد أصبحت ضيفاً فى رحاب أرحم الراحمين ؛ فنم قرير العين يا حبيب القلوب .

🌴 وأختم بما قال به الدكتور أحمد حسبو خضر جزاه الله كل خير قال :

الطفل ريان

كان من الجمال والنقاء بما لا يتناسب وعالَمنا وأرضَنا وعصرَنا .

شَغَل الخلقَ قبل أن يُقلعَ في رحلته من باطن الأرض إلى هامِ السماء .

ذَكّر سياسيِّ العالَم وأربابَ القرارِ فيه بقيمةِ الطفل المنسيَّة ، وحقوقه المهدَرة ، وحياتِه المبعثرة ، بين قتل وبرد وتشريد واغتيال لأجمل وأثمن وأعز الأشياء .. الطفولة .

فهل بموت ريان تحيا القلوب الميتة والضمائر المتيبسة والوجوه الخشبية للساسة والقادة الذي سحقت دباباتهم وطائراتهم أطفالَ العالم بعد أن شربوا قهوة صباحهم ممزوجةً بدمائهم !

ريان نعم من المغرب ؛ لكنه وعظ الغرب والشرق والإنسان بأسره فهل يعي الإنسان ما قاله ريان ؟

هل يعلّمنا ريان أن نراجع حساباتنا مع الطفل الذي روّعناه وجوّعناه وشردناه ويتّمْناه وأفقرناه في سوريا وفي فلسطين وفي العراق وفي اليمن وفي الهند وفي كل مكان ؟

هل يعيدُنا ريان إلى الآفاق الجميلة ، والمعاني المنسيّة ، والأخلاق الفقيدة ، وأبيات شوقي رضى الله عنه " أمير الشعراء " وهو يُوصي :



أَحْبِبِ الطفلَ وإن لم يكُ لك

إنّما الطفلُ على الأرضِ مَلَكْ

هو لُطْفُ اللهِ لو تعلمُهُ

يرْحمُ الله امرءًا يرحمُهُ

عَطْفَةٌ منك على لُعبَتِهِ

تُخرِجُ المَخبوءَ من جُعْبَتِهِ

وَحَديثٌ ساعةَ الضِّيقِ معَهْ

يَملأُ العمرَ هَناءً وَسَعَةْ

وهل ندخلُ عالَمَ الإنسانية من باب ريان لندخل الجنةَ من البابِ نفسه حين نصوم عن سرقة طعام الأطفال ولَعْقِ دمائهم !

اللهم اجعله فرطاً لوالديه وذخراً وسلفاً وأجراً . اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما .
واجعله في كفالة إبراهيم وألحقه بصالح سلف المؤمنين .

اللهم اجعَل سقوطه وما قاساه وحيدًا في الليالي الماضية ارتفاعًا وعُلوّاً لهُ عندك ، وأبدِل الظُّلمات التي عاشها نورًا وسِعَةً ونعيمًا، واجعلهُ طيرًا مُحَلِّقًا من طيور الجنّة، وشفيعًا لوالديه يوم يلقونك واجبر قلب أمه وأبيه وأهله وذويه

اللهم اجعله فرطاً لوالديه وذخراً وسلفاً وأجراً .

اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما .

اللهم اجعله في كفالة إبراهيم وألحقه بصالح سلف المؤمنين وأجره برحمتك من عذاب الجحيم وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله .

اللهم اربط على قلب أبويه ولا تحرمهما أجره واجعله شفيعًا لهما يوم القيامة .

لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده إلى أجل مسمى .

تنزيه أم إقصاء بإسم العلمانية

الباحث : مؤمن مقدادى





إن العلمانية تنطلق من أحضان الميكافلليه التي تقول :"الغاية تبرر الوسيلة"

والذي ويصوغ و يخول لها أن تقوم صروحها ومدنها على أشلاء الإنسان الأخر لهذا هي على قدم من الريبة والخوف من هيمنة الدين الذي سيرجع ما مارسته العلمانية من أصناف الشر ببترها وسرقتها من قيمة الإنسان.



يؤكد فيلسوف التربية الأمريكي **" جون ديوي"** في مؤلفاته على أن الفصل بين العقل والروح من عالم الأشياء قد أصبح من النظريات القديمة البائدة.

أن الإنسان هو ذلك الكائن المتفرد الذي خلقة الله سبحانه كائناً سويا، متوازنا، يقوم على أساس من العقل والروح والجسد، دون فواصل بينهما ولا حدود، تتآلف كلها

وتتكامل في نسيج الإنسان المعقد المتشابك... العقل والروح والجسد ، وبإهمال إي منهما لا يكون الإنسان إنساناً ولا يكرم على العالمين.

وكما يورد **محمد البهي** : "أن ثنائية الإنسان التي قام عليها الفصل بين الدين والدولة –تعتبر فكرة غير سليمة من الوجهة العلمية، وغير علمية من الوجهة التطبيقية، فأن دعاة التجديد لم يزالوا يرونها تجديداً، لان الغرب المتحضر قال بها يوما، ولم يزالوا يرون الوحدة في الإنسان وفي القيادة تخلفا لأنها من فكرة الإسلام".



ثم يرد **فينبث** لنا الإجرام

السياسة فاسدة والدين شي مقدس، لذالك يجب عدم إقحام الدين بالسياسة لنه ظلم للدين ؟

الأقوال بعد السؤال :

-إقحام الدين في غير مجاله.

- تلوث الدين بالسياسة وفسادها.

أن عبيد العلمانية ينطلقوا من هذه الفكرة لتحقيق ستائر الزيف والخداع والتي تتجلى في عدة شعارات منها كلمات التحرر ، والتقدمية والإنسانية والرغبة في القضاء على القيم ذات الطابع الرجعي لترويج أن الدين ابعد ما يكون عن السياسة وأنهم ضدان لا يجتمعان.

وهذا يؤكد تراتبية الجهل والحقيقة التي تكمن خلف جعل الدين فردي وعلاقة شخصية .

وهذا السؤال لم يخرج إلا بعد هزائم العلمانيون ونتائجهم الكاذبة والبائسة ويؤكد على سبقهم للجهل بمئات السنين الضوئية والظاهر أن الوعي عندهم في الإسلام تحت صفر المعرفة الكونية أن البكائيات واللطميات التي تسمع في إعلامنا ومجلاتنا وكتبنا بعناوين تتجلى بفصل السياسة عن الدين لتجنب الدين ملابسات السياسة وإعطاء مساحة كافية لانطلاق السياسية بمجالها الحيوي لان الدين يعرقلها فهي تقع في تناقض صريح حيث تعترف بأن السياسة شيء غير أخلاقي.

هنا يكمن التدليس والإقصاء بإسم التنزيه والسلب الغير مباشر والقمع الراديكالي والإبعاد الممنهج والعزل الموجه والغياب المدروس للدين في احتواه أنظمة الحياة في ذاته وبين طياته

كل ذالك بطريقه خبيثة واستمرارية بقوالب مريحة ، وتظهر ادلجة العقول ورسم الثغور وتمرير الأمور بأسئلة نابعة عن تخبط في الاورده.

السؤال بظاهرة وباطنه وطبيعته المفصلية وأرضيته السطحية ما هو إلا دليل قاطع ونبش ساطع وبرهان واضح واستنساخ فاضح وكلام صارخ على فشل العلمانية في بلادنا بعيدا عن مقدماتهم ونتائجهم الدموية والقهرية والبراغماتيه من ركود في جميع أجنحة الحياة اللاوردية

هذا العراك في السؤال للتلبيس على الناس واستقطاب عقولهم وتغطية شمس الحقيقة ما هي إلا أضغاث أحلام بالية ببساطة الإسلام لا يقتحم عالم السياسة وإنما السياسة هي جزء صميم من كيان الإسلام والرئة في جسد ديننا الحنيف وتدخل في فضاء أبوبة

إن العمل المستميت من طرف عباد الغرب المميت على أبراز وإنشاء وصنع وخلق تضاد وعداوة نوعيه أو أصوليه بين الإسلام والسياسة لوشم تصور عند العقل البشري والسيطرة على أدوات الإدراك لديه لتبين هذا الوهم على   أنهم متضادين ما هيه إلا محاوله بئاسه ومنهارة في ذروة النهار



وفاشلة وخارجة من وسط الركام تعمل على التعتيم حول حقيقة الإسلام ومقاصده وأدواته والياته وحقيقة السياسة واغرضها

إن هذا لا يعدو إلا مجال للحرب النفسية للقارئ والمستمع لسلب وتميع العقل ليبدو له بقصر الدين وعزله في النسك التعبدي الفردي فقط، ورغم ركاكة هذه الكلمات ورايات الشذوذ الملونة بأفكار أرجوانية وقذفه من رحم أبلاستيكيه تبدو أنها نتائج نرجسية، إلا انه هي اكبر وأوج دعايتهم العلمانية لمحاربه الدين الذي سوف يعمل على محاسبتهم وغربلة فسادهم واضمحلال أحلامهم

ولإبداء من اغتصاب مبكر للفكر العلماني ودحر مخالفتهم البشرية التي تركها الاستعمار في حضن مشرق هذه البلاد، وهنا يجب علينا إسقاط القناع في التعميم والشمولية البلشفية بدون أي حكم ودراسة استعراضيه، لأن هذا التعميم فيه اتهام لكل السياسيين أنهم فاسدين اتهام غير عادل اتهام كاذب نستنتج منه عدم أمانة مروجين العهر.

لكن لو أزلنا المساحيق عن هذه الأقوال لتبين لنا أن هذا السؤال هو سؤال غبي ويحمل بين طياته فساد منطقي اخر، بكل بساطه اتهام الناس بالفساد من منطلق فاسد هو اكبر فساد ولا بداء من إفساد هذا المفسد الفاسد ومن هنا يبرز الجهل في تاريخ الإسلام وجوهره عند العلمانيون، وكأن الرسول عليه السلام لم يكن قائد جيوش وقاضي.

وهل تريد منا بعد الاطاحه بعقم السؤال أن نقبل هؤلاء السياسيين مندوبين وممثلين عن الشعب يقع تحت أيديهم أمانات وعرض واقتصاد وأراضي ألامه بتلك الصفات التي أنت وصفتهم اياها بالفساد وإنهم مراوغين وان السياسة تحتاج للكذب والتطبيع والى ما يأوي صندوق العالمانين من مفاسد.

نعم هذه هي العلمانيه وصفاتها ملطخه بالدماء وغسل الاموال التي تقرو فيها والتي

وهذا اعتراف ضمني منكم ،لامسناها في حياتنا ورainا نكبة نتائجها

واعترافكم بهذا تشكروا عليه لقد أرحتمونا من مرحله كبيره

إذاً نحن لا نحتاج إلى هكذا نظام لا يستطيع منع الفساد بل يقبل ويحتضن الفساد ولا وهكذا أشخاص بتبريرات أقبح من الذنب داخل دوامه أو إعصار

ان فسادكم الذي جعل منكم ايقونه وعملاء للغرب وعبيد لعرقهم وقبولكم وترحيبكم بقوانينهم وصناديقهم كانت مراه عكست فينا ضوء التخلف والكساد والركود واعتقال الري وحريات سقفها اللسجن، وشذوذ واسترقاق فقر أبكى الحجر وبطالة حطمت الشباب وصنعت لنا خيم من أسوار وأوقفت الرؤيا والأحلام وانحلال قتل الأجساد ورذالة سحقت الأفكارر ومزقت الأيام وحقوق ضاعت ودفنت الآمال ونتائج دمرت الوطن وحطمت البشر و قتلت الإنسان والحجر

وهو لخلق تصور أن السياسة نظام مخالف ومبدأ مغاير واليات مستورده وأدوات ،وكل ذالك وان الدين مجرد تميمة تعلق على الصدر أو آيات تزين بها جدران المساجد أو مختلفة عن الدين تراتيل في المآتم والسردقات.

لنبين هذا الجهل العميق بما يأتي :

• الدين لن يفسد أذا دخل السياسة، لأن السياسة جزء حصري من الدين ، ولأن الإسلام سوف يمنعهم من فاسدهم ويوقفهم عن استغلال واستنزاف الموارد واستعباد الشعب بل أن الإسلام هو كفن العلمانية ومنقذ البشرية.

•الدين هو رسالة السماء التي نزلت لتصحيح التصورات والأفعال وخلق جو مناسب وضم الاختلافات والحفاظ على دور وحرية الأقليات ولتسعف الناس في أمور معاشهم ومعادهم، وقد نزلت أحكامه لتطهر الدنيا من رجس الباطل وأوحيت آياته إلى النبي الخاتم لتقطع دابر الفساد وتجتث عروقه وتجفيفه من عالم السياسه وغيها القاتم .انه دين وجد ليعقم السياسة من قمعها وفسادها لأنه لا يرضى للباطل البقاء والقرار الآمنين بل سوف يكسر أفيون العلمانيون

ويحطم ويحاسب ويعقم كل ما جناه ،ويمسح ويمزق ،ويعمل على تحرر الشعب والنهوض فيه العلمانيون من ويلات وخدمات للغرب و سوف يسير بآلامه من ذيل الاهانه إلى رأس الامتهانه

إن نهاق العلمانيون العرب على أن الدين أقدس وأنقى وآجل من أن يدخل في السياسة ما هو الاستحضار لدعوى أسلافهم من مشركي مكة.

قال الله تعالى

وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً.

(الفرقان،7).

اقتباس : "نشأ فصل الدين عن السياسة" في الغرب ، لأن الدين فاسد و سيفسد السياسية، و نشأ الفصل بالشرق لأن السياسي فاسد و الدين يفسد عليه سياسته" .(عبد العزيز الطريفي)

اقتباس :" لا بد وأن هناك بعض الأشياء التي لا يستطيع حمام ساخن علاجها ولكنني لا اعرف ^ . معظم هذه الأشياء" (سليفيا- بلاث).

وأنا أقول هكذا هي العلمانية أسئلة غبية لا إدراكية، وطرح لحل مشاكل لا نعانى منها، وليست موجودة، يجب ان نأخذ بالعلمانية إلى مقبرة التاريخ ونهمس في أذنيها ونقول نامي بسلام.

لأن العلمانية خلقت انفصام للإنسان وازدواجية فانبتت له سلطتين متنافرتين متحاربتين هذه تشده يمينا وتلك تشده شمالا فيتمزق ويصبح متناثر ومحطم فيفقد مظهره وحدته الذاتية وتماسكه الباطني. لهذا من الحماقة أن ينقسم الإنسان أو يفصل بين جسمه ونفسه أو أن يوزع بين اختصاصين متقابلين وسلطتين مختلفتين والحقيقة هي أن يكون تحت ظل الإسلام بقيادة واحدة وليسا بقيادتين

. لا سبيل للاستفاضة إلا بقتل السؤال، لأن ميلاد الجواب ينشأ من موت المؤلف.

المصادر:

محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.ط، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2007م.

- د.عماد الدين خليل، تهافت العلمانية، ط1، دار القماطي للطباعة، دمشق، سوريا، 2008م،

- د.سامي عامري، العالمانية طاعون العصر كشف المصطلح وفضح الدلالة،ط1، مركز تكوين،المملكة العربية السعودية،2017م.

معركة عين جالوت





"يجب أن يدرك شبابنا أن مجد الأمة نضال

متواصل وسباق

حضاري مستمر مع الأمم الأخرى"

الباحث : أحمد الجمال

إحدى أبرز المعارك في الإسلام،التي تمكن فيها جيش المسلمين من دحر زحف المغول

معركة عين جالوت (25 رمضان 658 هـ / 3 سبتمبر 1260م) هي إحدى أبرز المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي؛ إذ استطاع جيش المماليك بقيادة سيف الدين قطز إلحاق أول هزيمة قاسية بجيش المغول بقيادة كتبغا.[3] وقعت المعركة بعد انتكاسات مريرة لدول ومدن العالم الإسلامي، حيث سقطت الدولة الخورازمية بيد المغول[4] ثم تبعها سقوط بغداد بعد حصار دام أياماً فاستبيحت المدينة وقُتل الخليفة المستعصم بالله فسقطت معه الخلافة العباسية،[5] ثم تبع

ذلك سقوط جميع مدن الشام وفلسطين وخضعت لهولاكو،[6] كانت مصر في تلك الفترة تئِنُّ من الصراعات الداخلية والتي انتهت باعتلاء سيف الدين قطز عرش مصر سنة 657 هـ / 1259 سلطانا لمماليك مصر.[7] فبدأ بالتحضير لمواجهة التتار، فقام بترتيب البيت الداخلي لمصر وقمع ثورات الطامعين بالحكم، ثم أصدر عفواً عاماً عن المماليك الهاربين من مصر بعد مقتل فارس الدين أقطاي بمن فيهم بيبرس، ثم طلب من العز بن عبد السلام إصدار فتوى تُشرع له جمع الضرائب على سكان مصر بعد أن واجهته أزمة اقتصادية عجز من خلالها عن تجهيز الجيش، وكان له ما أراد وأصدر العز بن عبد السلام فتوى تجيز جمع الضرائب بشروطٍ خاصة ومحددة،[8] ما إن انتهى قطز من تجهيز الجيش حتى سار به من منطقة الصالحية شرق مصر حتى وصل إلى سهل عين جالوت الذي يقع تقريباً بين مدينة بيسان شمالاً ومدينة نابلس جنوباً في فلسطين، وفيها تواجه الجيشان الإسلامي والمغولي، وكانت الغلبة للمسلمين، واستطاع الآلاف من المغول الهرب من المعركة واتجهوا قرب بيسان، وعندها وقعت المعركة الحاسمة وانتصر المسلمون انتصاراً عظيماً، وأُبيد جيش المغول بأكمله.[9]

كان لمعركة عين جالوت أثراً عظيماً في تغيير موازين القوة بين القوى العظمى المتصارعة في منطقة الشام، فقد تسببت خسارة المغول في المعركة من تحجيم قوتهم، فلم يستطع القائد المغولي هولاكو الذي كان مستقراً في تبريز من التفكير بإعادة احتلال الشام مرةً أخرى، وكان أقصى ما فعله رداً على هزيمة قائده كتبغا هو إرسال حملة انتقامية أغارت على حلب.[10]

خلفية تاريخية

كانت بداية تأسيس إمبراطورية المغول سنة 603 هـ / 1206م في منغوليا على يد جنكيز خان، فتمددت حتى بلغت حدودُها كوريا شرقاً إلى حدود الدولة الخوارزمية غرباً، ومن سهول سيبيريا شمالاً إلى بحر الصين جنوباً، ثم بدأت بالتوسع غربا حيث سقطت خوارزم سنة 616 هـ / 1219م، فسقطت المدن بيدهم الواحدة تلو الأخرى، حيث سقطت بخارى،[11] ثم سمرقند ثم اجتاحوا إقليم خرسان وخوارزم، وكل ذلك كان في سنةٍ واحدة، وفي سنة 617 هـ / 1220م سقطت أذربيجانوهمدان وتبريز وداغستان والشيشان.[12]

تولى أوقطاي خان الحكم بعد جنكيز خان[13] فضم إقليم فارس إلى المغول. وفي سنة 649 هـ / 1251م تولى الحكم منكو خان، فعين هولاكو والياً لإقليم فارس. وبعد خمس سنوات بدأ هولاكو

في حصار بغداد في شهر محرم 656 هـ / 1258م. لم يدم الحصار شهراً واحداً حتى سقطت بغداد ومعها الخلافة العباسية واستبيحت بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله.[14][15]

توجه بعدها هولاكو إلى حصار ميافارقين التي يتحصن فيها الكامل محمد الأيوبي، والتي ما لبثت أن سقطت، ثم توجه صوب حلب فأمر الناصر يوسف بتسليمها إليه ولكن الناصر رفض، فدخلها سنة 658 هـ / 1260،[16] ثم دخل حماة ودمشق في نفس العام،[17][18] ولكن مالبث أن رجع هولاكو إقليم فارس ووكل قائده كتبغا إكمال الحملة، حيث تمكن من احتلال جميع مدن فلسطين التي لا تخضع للصليبيين.[19]

أوضاع المماليك

توفي الصالح أيوب في 647 هـ / 1249م وهو خَارج إلى المنصورة لملاقاة لويس التاسع صاحب الحملة الصليبية السابعة. فتولى قيادة الجيش كلا من بيبرس و فارس الدين أقطاي حيث تم لهم النصر في معركة المنصورة. تولى توران شاه الحكم خلفاً لأبيه، ولكنه قتل بعد أربعة أشهر من توليه الحكم.[20][21][22] فحدث فراغ سياسي كبير بعد مقتله، فليس هناك أيوبي مؤهل لقيادة الدولة، عندما أعلنت شجرة الدر بالتعاون مع المماليك حاكمةً لمصر،[23][24] ولكن الرفض عم أرجاء العالم الإسلامي بعد سماعه الخبر، فتزوجت عز الدين أيبك ثم تنازلت له عن الحكم، وأصبح أول سلاطين مماليك مصر،[25][26] استقر بعدها الحكم لأيبك واعترف به الخليفة العباسي المستنصر بالله، ولكن بدأت الصراعات بين المماليك في النشوب، ماأدى أن قتل أيبك زعيمَ المماليك فارسَ الدين أقطاي، فهرب المماليك الآخرين وعلى رأسهم بيبرس من مصر. ثم مالبث أن قتلت شجرة الدر زوجها أيبك بعدما علمت انه تزوج من ابنة حاكم الموصل، فسارع سيف الدين قطز ومعه المماليك المعزية و نور الدين علي بن أيبك بإلقاء القبض على شجرة الدر وتسليمها لأم نور الدين والتي أمرت جواريها بقتلها ضرباً بالقباقيب.[27][28]

بُويع نور الدين علي بن أيبك البالغ من العمر خمسة عشر سنة حاكماً لمصر، وتولى سيف الدين قطز الوصاية الكاملة عليه، أدى صعود طفل سدة الحكم في مصر لحدوث قلاقل وفتن، ولكن قطز استطاع إخمادها على الفور، ثم طمع الأمير الأيوبي مغيث الدين بحكم مصر، وسير الجيوش لقتال قطز، ولكن قطز استطاع صد جيشه في سنة 655 هـ / 1257م و 656 هـ / 1258م، وفي ضوء سقوط بغداد في عام 656 هـ / 1258م والمشاكل الداخلية وثورات المماليك وأطماع الأمراء الأيوبيين، لم يجد قطز أي معنى لأن يَبقى طفل على سدة حكم مصر التي لم يعد

هناك أمل لصد المغول إلا فيها، واتخذ قراره بعزل الطفل نور الدين علي بن أيبك واعتلاء عرش مصر سنة 657 هـ.[29][30]

قبل المعركة

كان الوضع في مصر عند اقتراب التتار منها متأزم جداً، فالوضع الداخلي يموج بالاضطرابات والأزمات الشديدة، والفتن الناتجة عن الصراع على كرسي الحكم، وإن كان قطز قد استقر على كرسي الحكم، إلا أن هناك الكثير من الطامعين في الكرسي وهناك الكثير من الحاقدين على قطز شخصياً، كما أن الفتنة ما زالت دائرة بين المماليك البحرية الذين كانوا مؤيدين لشجرة الدر وبين المماليك المعزية الذين يؤيدون قطز، أما المسرح السياسي الخارجي فكان يحمل مشكلات كبيرة أخرى، وذلك أن العلاقات كانت ممزقة تماماً بين مصر وجيرانها، أما الوضع الاقتصادي فلم يكن بأفضل حالاً من الوضع السياسي، فهناك أزمة اقتصادية يمر بها البلد من جراء الحملات الصليبية المتتالية، ومن جراء الحروب التي دارت بين مصر وجيرانها من الشام، وكذلك الفتن والصراعات على المستوى الداخلي، كما أن الناس انشغلوا بأنفسهم وبالفتن الداخلية والخارجية، فتردى الاقتصاد لأبعد درجات التردي.[2]

ترتيب الوضع الداخلي

كانت أول خطوة قام بها قطز في إعداده لحرب التتار هي استقرار الوضع الداخلي في مصر، وقطع أطماع الآخرين في الكرسي الذي يجلس عليه، وما كان من قطز إلا أن جمع الأمراء وكبار القادة وكبار العلماء وأصحاب الرأي وقال لهم: «إني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتر ولا يأتي ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم أقيموا في السلطنة من شئتم»،[31][32] فهدأ معظم من حضر الاجتماع ورضوا بما قال، ثم قام قطز بالقبض على رؤوس الفتنة الذين حاولوا الخروج على سلطته وحكمه، وبذلك هدأت الأمور نسبيًا في مصر، أما الخطوة الثانية التي قام بها قطز فهي إصداره لعفو عام وشامل عن المماليك البحرية الذين فروا إلى الشام بعد مقتل زعيمهم فارس الدين أقطاي،[33][34] كانت هذه الخطوة أبرز قرار سياسي اتخذه قطز، فقوات المماليك المعزية لا تكفي لحرب التتار، وكانت المماليك البحرية قوة عظيمة وقوية جداً ولها خبرة واسعة في الحروب، فإضافة قوة المماليك البحرية إلى المماليك المعزية ستنشيء جيشاً قوياً قادراً على محاربة التتار، وكان من نتائج هذه الخطوة عودة القائد الظاهر بيبرس إلى مصر وانضمامه إلى قطز، وبهذا توحدت قوى المماليك تحت لواء جيش واحد قائده سيف الدين قطز.[35]

رسل هولاكو

بينما كان سيف الدين قطز منشغلاً بإعداد الجيش، جاءته رسالة من هولاكو يحملها أربع رسل من التتار، وفيها:[36]

من ملك الملوك شرقاً وغرباً الخاقان الأعظم، باسمك الله باسط الأرض ورافع السماء، يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتنعمون بأنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك، يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال أنَا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطناً على من حل به غضبه، سلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ، فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرفق بمن شكى، قد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب، فأي أرض تؤويكم وأي طريق تنجيكم وأي بلاد تحميكم، فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لا تمنع والعساكر لقتلنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع، فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفون عن الكلام، وخنتم العهود والأيمان وفشا فيكم العقوق والعصيان، فأبشروا بالمذلة والهوان (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)، فمن طلب حربنا ندم ومن قصد أماننا سلِم، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تُهلكوا نفوسكم بأيديكم، فقد حذر من أنذر وقد ثبت عندكم أنّا نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة، فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير المذلة ما لملوككم علينا سبيل، فلا تطيلوا الخطاب وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منّا جاهاً ولا عزاً ولا كافياً ولا حرازاً، وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منا خالية، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى.

كانت الرسالة إعلاناً صريحاً بالحرب أو تسليم مصر للتتار، على إثر هذه الرسالة عقد قطز مجلساً ضمّ كبار الأمراء والقادة والوزراء وبدؤوا مناقشة فحوى الرسالة، كان قطز مصمماً على

خوض الحرب ورافضاً لمبدأ التسليم، ولكن كان هناك تردد من قبل بعض الأمراء في قبول ما رآه قطز، عندها قال قطز مقولته المشهورة: «أنا ألقى التتار بنفسي»،[37] ثم قال: «يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المسلمين»،[38] وأنهى كلامة بقوله «من للإسلام إن لم نكن نحن»،[39] وقعت كلمات قطز في قلوب الأمراء فأيدوه في قراره، وأعلنوا معه الجهاد في سبيل الله، ثم قرر قطز أن يقطع أعناق الرسل الأربعة الذين أرسلهم هولاكو، وأن يعلق رؤوسهم على باب زويلة في القاهرة، وذلك بعد أن استشار ركن الدين بيبرس الذي قال: «أرى أن نقتل الرسل الأربعة ونقصد كتبغا قائد المغول متضامنين، فإذا انتصرنا أو هزمنا فسنكون في كلتا الحالتين معذورين».[40][41]

الأزمة الاقتصادية

بعد أن استقر الوضع في مصر، وبعد قتل رسل هولاكو، أصبح قطز يُسَرّع من عملية تجهيز الجيش، ولكن واجهته مشكلة جديدة هي المشكلة الاقتصادية، فلابد من تجهيز الجيش المصري وإعداد التموين اللازم له، وإصلاح الجسور والقلاع والحصون، وإعداد العدة اللازمة للحرب، وتخزين ما يكفي للشعب في حال الحصار، وليس هناك من الأموال ما تكفي لتأمين كل ذلك، قام قطز بدعوة مجلسه الاستشاري ودعا إليه سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وبدؤا التفكير في إيجاد حل للأزمة الاقتصادية الطاحنة، اقترح قطز أن تفرض ضرائب لدعم الجيش، ولكن هذا القرار يحتاج فتوى شرعية، لأن المسلمين في دولة الإسلام لا يدفعون إلا الزكاة.[42] عندها أفتى العز بن عبد السلام وقال: «إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم كله قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائص - وهي حزام الرجل وحزام الدابة- المذَهَّبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه، ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ الأموال من العامة، مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا».[43] بيَّن العز بن عبد السلام بأنه لا يجوز فرض ضرائب إلا بعد أن يتساوى الوزراء والأمراء مع العامة في الممتلكات، ويجهز الجيش بأموال الأمراء والوزراء، فإن لم تكفي هذه الأموال جاز هنا فرض الضرائب على الشعب بالقدر الذي يكفي لتجهيز الجيش ليس أكثر من ذلك، قبِل سيف الدين قطز فتوى العز بن عبد السلام وبدأ بنفسه وباع كل ما يملك وأمر الوزراء والأمراء أن يفعلوا ذلك، فانصاع الجميع وامتثلوا أمره، فقد أحضر الأمراء كافة ما يملكون من مال وحلي نسائهم وأقسم كل واحد منهم أنه لا يملك شيئاً

في الباطن، ولما جمعت هذه الأموال ضربت سكاً ونقداً وأنفقت في تجهيز الجيش،[44] ولكن لم تكفي هذه الأموال في تغطية نفقة الجيش، فقرر قطز إقرار ضريبة على كل رأس من أهل مصر والقاهرة من كبير وصغير ديناراً واحداً، وأَخذ من أجرة الأملاك شهراً واحداً، وأَخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلاً، وأَخذ من الترك الأهلية ثلث المال، وأَخذ من الإيطان والسواقي أجرة شهر واحد، وبلغ جملة ما جمعه من الأموال أكثر من ستمائة ألف دينار.[45]

الاستعداد للمعركة

اجتمع قطز مع مجلسه العسكري لبحث أفضل طريقة لحرب التتار، وعبَّر عن عزمه الخروج بجيش مصر لملاقاة التتار في فلسطين بدلاً من أن ينتظرهم في مصر،[46] اعترض أغلب القادة على رأي قطز وفضلوا أن ينتظر قطز التتار حتى يصلوا مصر ليدافع عنها، لأن مصر مملكته أما فلسطين فهي مملكة غيره،[46] وبعد نقاش طويل دار في المجلس العسكري، أُقرت خطة سيف الدين قطز لعدة عوامل وهي: أن أمن مصر القومي يبدأ من حدودها الشرقية وليس من داخل البلد نفسه، ومن الأفضل عسكرياً أن ينقل سيف الدين قطز المعركة إلى ميدان خصمه لأن هذا سيؤثر نفسياً على نفوس التتار، ومن الأفضل عسكرياً كذلك أن يمتلك المسلمين عنصر المفاجأة فيختاروا هم ميعاد المعركة ومكانها، عندها بدأ العز بن عبد السلام ومن معه من علماء الأمة بصعود منابر المساجد والحث على الجهاد، وترغيب الناس بالجنة وتزهيدهم في الدنيا، وتعظيم أجر الشهادة في سبيل الله،[47] واستمر إعداد الجيش وتجهيزه وجمع المتطوعين وتدريب المجاهدين مدة خمسة أشهر، من شهر ربيع الأول 658 هـ الموافق فبراير 1260م إلى نهاية شهر رجب (يوليو) من السنة نفسها.[48]

معاهدة عكا

في أثناء تجهيز الجيش قام قطز بجهود حثيثة لتمهيد طريق الجيش للقاء التتار، كانت هناك أجزاء من فلسطين وساحل البحر الأبيض المتوسط محتلة من قبل الإمارات الصليبية، ومنها إمارات عكا وحيفا وصور وصيدا واللاذقية وأنطاكية، وكانت أقوى هذه الإمارات الصليبية هي إمارة عكا في فلسطين، وهذه الإمارة تقع على طريق قطز وجيشه إذا أراد أن يحارب التتار في فلسطين، كان التفكير في أن قتال الصليبيين في عكا سيؤثر سلباً على جيش الإسلام في مصر المتوجه لفلسطين، وفي نفس الوقت لا يستطيع قطز أن يحارب التتار في فلسطين دون الانتهاء من مشكلة الصليبيين في عكا، وجد قطز أن أفضل الحلول هو الإسراع بعقد معاهدة مع

الصليبيين في عكا قبل أن يتحالف التتار معهم،[49] قام قطز بإرسال سفارة إلى عكا للتباحث حول إمكانية عقد معاهدة سلام مؤقتة بين المسلمين والصليبيين، كان الهدف من السعي لهذه الاتفاقية هي تحييد جيش الصليبيين من جهه وتأمين ظهر جيش مصر من جهة أخرى، جلس وفد قطز مع الأمراء الصليبيين للتباحث في أمر الهدنة، كان الصليبيون يخافون ألاّ يظفروا من المسلمين بعهد فينقلب عليهم المسلمون، ولذلك تقبلوا فكرة الهدنة بسرعة، بل أن بعض الأمراء الصليبيين عرضوا فكرة التحالف العسكري مع المسلمين لقتال التتار، ولكن هذه الفكرة لم تلق موافقة الطرفين، فبقية الأمراء الصليبيين يخشون الخروج من عكا بجيشهم فيدخلها المسلمون إذا انتصروا على التتار، كما أن المسلمين كانوا يخشون خيانة الصليبيين أثناء القتال خاصة أن قائد التتار الحالي كتبغا نصراني، لذلك قبِل الطرفان بفكرة الهدنة المؤقتة.[49] وأصر الوفد المسلم على أن تكون هذه الهدنة هدنة مؤقتة تنتهي بانتهاء حرب التتار، ومما اتفق عليه في الهدنة أن أي خيانة يقوم بها الصليبيون فسيترك المسلمون قتال التتار ويتوجهون إلى عكا لتحريرها، وأنه في حال انتصار المسلمين في قتال التتار فسيبيع المسلمون خيول التتار من أهل عكا بأسعار زهيدة، في حين تعهد الصليبيون في عكا بأن يسهموا في إمداد جيش المسلمين بالمؤن والطعام في أثناء وجوده في فلسطين.[49]

بالرغم من كل الاستعداد العسكري والسياسي والديني والاقتصادي الذي قام به سيف الدين قطز ومعه كبار قادته وأمرائه وعلمائه، وبرغم التحفيز الكبير الذي قام به العلماء وعلى رأسهم العز بن عبد السلام لحث الناس على الجهاد وحمل السلاح في مواجهة التتار، إلاّ أن بعض المسلمين في مصر لم يستوعبوا أن القتال والحرب أصبح أمراً واقعاً ومحتماً، واستطاع عدد من الجنود الفرار من الجيش والاختباء عن أعين المراقبة، واستطاع عدد آخر الخروج والهرب من مصر، فمنهم من هرب إلى الحجاز ومنهم من هرب إلى اليمن، ومنهم من هرب إلى المغرب.[50]

السير إلى فلسطين

بدأ جيش المسلمين في مصر بالتجمع في منطقة الصالحية (تقع الآن في محافظة الشرقية)، وهي منطقة صحراوية واسعة تستوعب الفرق العسكرية المختلفة، وكانت سابقاً نقطة انطلاق للجيوش المصرية المتجهة إلى الشرق، تجمعت الفرق العسكرية من معسكرات التدريب المنتشرة في القاهرة والمدن المصرية الكبرى، ثم توجه قطز بجيشه إلى سيناء، ثم سلك طريق الساحل الشمالي لسيناء بحذاء البحر الأبيض المتوسط، كان هذا التحرّك في أوائل شعبان 658 هـ / يوليو

1260م،[51] كان قطز يتحرك على تعبئة، حيث أنه لا يتحرك إلاّ وقد رتّب جيشه بالترتيب الذي سيقاتل به العدو لو حدث قتال، وذلك حتى إذا فاجئه جيش التتار كان مستعداً للقتال، وقد وضع على مقدمة جيشه بيبرس ليكون أول من يصطدم بالتتار، لكي يحدث نصراً ولو جزئياً، وذلك ليرفع من معنويات جيش المسلمين الذي يسير خلفه، وكان سيف الدين قطز قد سلك في ترتيب جيشه نهجاً جديداً في التخطيط العسكري، حيث كون في مقدمة الجيش فرقة كبيرة نسبياً على رأسها بيبرس، وجعل هذه الفرقة تتقدم كثيراً عن بقية الجيش التي تسير خلفها، وتظهر نفسها في تحركاتها، بينما يتخفى بقية الجيش في تحركاته، فإذا كان هناك جواسيس للتتار اعتقدوا أن مقدمة الجيش هي كل الجيش، فيكون استعدادهم على هذا الأساس، ثم يظهر بعد ذلك قطز على رأس الجيش الأساسي، وقد فاجأ التتار الذين لم يستعدوا له.[51]

معركة غزة

اجتاز بيبرس سيناء في 15 رجب 658 هـ / 26 يوليو 1260م، ودخل فلسطين وتبعه قطز بعد ذلك في سيره، واجتازوا رفح وخان يونس ودير البلح واقتربوا من غزة التي احتلها التتار في اجتياحهم للشام، اكتشفت عيون التتار مقدمة الجيش الإسلامي، واعتقدوا أن هذا هو جيش المسلمين كله، ونُقلت الأخبار إلى حامية غزة التترية، وأسرعت الحامية التترية للقاء بيبرس، وجرى بينهما قتال سريع، كان هذا القتال وجيش قطز الرئيسي ما زال يعبر حدود سيناء متوجهاً إلى غزة، ولكن تأخر الجيش الرئيسي لم يؤثر في سير المعركة كثيراً، فقد كانت مقدمة الجيش بقيادة الظاهر بيبرس مقدمة قوية وقائدها قائد بارع، والحامية التترية في غزة صغيرة نسبياً، وجيش المغول الرئيسي بقيادة كتبغا على مسافة كبيرة من غزة، حيث يربض في سهل البقاع، فتم اللقاء في غزة بمعزل عن الجيوش الرئيسية للمسلمين والتتار، واستطاعت مقدمة جيش المسلمين أن تنتصر في هذه الموقعة الصغيرة، التي قُتل فيها بعض جنود الحامية التترية، وفرّ الباقون في اتجاه الشمال لينقلوا الأخبار إلى كتبغا.[51]

إلى عين جالوت

بعد معركة غزة توجه الجيش شمالا وبحذاء البحر فمروا بعسقلان ثم يافا ثم مروا بغرب طولكرم، ثم حيفا، وواصلوا الاتجاه شمالاً حتى وصلوا عكا التي وقعوا فيها مع الصليبيين معاهدة سلام مؤقتة، عندها قرر قطز أن يعسكر في الحدائق المحيطة بحصن عكا في السهل الواقع إلى

الشرق من عكا، فأرسل وفداً من الأمراء المماليك إلى الصليبيين للتأكد من سريان الاتفاقية السابقة، فدخلوا حصن عكا حيث أحسن الأمراء الصليبيون استقبالهم، وأكد الطرفان على ما سبق الاتفاق عليه، وتكررت الزيارات أكثر من مرة، حتى اطمأن الجميع على استقرار الوضع، ثم قرر قطز الرحيل من عكا لاختيار مكان مناسب للقاء التتار.[52]

عندما بدأ قطز في مغادرة منطقة عكا، أشار عليه أحد الأمراء الذين قاموا بالسفارة بينه وبين الصليبيين، أن عكا الآن في أشد حالات ضعفها، وأنهم مطمئنون إلى المعاهدة معه، وأنهم غير جاهزين للقتال، فلو انقلب عليهم فجأة فسيسقط حصن عكا وتحرر المدينة بعد قرن ونصف من الاحتلال، وكان رد قطز: «نحن لا نخون العهود»،[53] ثم اتجه من عكا إلى الجنوب الشرقي منها، ليبحث عن مكان يصلح للمعركة مع التتار، في هذه الأثناء كان كتبغا قد وصلته فلول جيشه الهارب من معركة غزة فأخبروه بسقوط غزة، فعقد اجتماعاً مع قادته حضره الأشرف الأيوبي، وحضره أيضاً قاضي القضاة محي الدين محمد بن يحيى المعروف بابن الزّكي، واستشارهم في الأمر وكيف يعمل، منهم من أشار بعدم اللقاء ومراوغة سيف الدين قطز دون خوض معركة حاسمة، ريثما يصل مدد من هولاكو ليتقوى به على ملاقاة الجيش المملوكي، ومنهم من أشار بغير ذلك، وتفرقت الآراء، واتخذ كتبغا قراره بأن يتوجه بسرعة لملاقاة قطز،[54] تحرك كتبغا من سهل البقاع باتجاه الجنوب حتى دخل فلسطين من شمالها الشرقي غرب الجولان عبر نهر الأردن، ووصل إلى الجليل الشرقي، واكتشفت استطلاعات جيش قطز حركة كتبغا، ونقلت له الأخبار بسرعة فغادر عكا في اتجاه الجنوب الشرقي، ثم أسرع باجتياز الناصرة، وتعمق أكثر في الجنوب الشرقي حتى وصل منطقة تعرف باسم سهل عين جالوت التي تقع تقريباً بين مدينة بيسان في الشمال ومدينة نابلس في الجنوب.[52]

وجد سيف الدين قطز سهل عين جالوت منطقة مناسبة للمعركة مع التتار، فهو سهل واسع منبسط تحيط به التلال المتوسطة من كل جوانبه إلا الجانب الشمالي منه فهو مفتوح، كما تعلو التلال الأشجار والأحراش، مما يوفر مخبأً مناسباً لجيشه فيسهل عمل الكمائن على جوانبه المنبسطة، فرتب جيشه بسرعة فوضع على ناحية السهل الشمالي المقدمة بقيادة بيبرس، وجعلها في مكان ظاهر حتى يغري جيش التتار بالقدوم إليه بينما أخفى بقية الجيش خلف التلال والأحراش، كان ترتيب قطز وإعداده لخطة المعركة في 24 رمضان 658 هـ / 2 سبتمبر 1260م، أي قبل يوم واحد من معركة عين جالوت.[55]

واصل كتبغا مسيره باتجاه جيش المسلمين فمر غرب مدينة بيسان، ثم انحدر جنوباً باتجاه عين جالوت، خلال تلك الفترة وفدت على جيش قطز أعداد كبيرة من متطوعي مدن وقرى فلسطين للانضمام إليه، احتار قطز بهذه الأعداد المتحمسة التي ينقصها التدريب العسكري، فقرر أن يضعهم في نقل العتاد والاهتمام بشؤون الطعام والشراب وإمداد الجنود بالرماح والسهام، ورعاية الخيول ونقل الجرحى والمصابين، ووجه الجنود الذين كانوا يقومون بهذه الأعمال إلى الجيش الرئيسي للمشاركة في المعركة، وبينما كان قطز يجهز الجيش قبل يوم من المعركة إذ جاء رجل يطلب مقابلة قطز، فقال أنه رسول صارم الدين أيبك (وهو أحد المسلمين الذين أسرهم هولاكو عند اجتياح الشام ثم قبل الخدمة في صفوف جيش التتار واشترك معهم في مواقع مختلفة وجاء معهم إلى موقعة عين جالوت)، نقل الرسول لسيف الدين قطز عدة نقاط وهي:[56][57][58]

أن جيش التتار ليس بقوته المعهودة فقد أخذ هولاكو معه عدداً من القادة والجند وذلك عند ذهابه إلى تبريز، فلم يعد الجيش على الهيئة نفسها التي دخل بها الشام.

ميمنة جيش التتار أقوى من ميسرتهم، فعلى جيش المسلمين أن يقوي من ميسرتهم التي ستقابل ميمنة التتار.

أن الأشرف الأيوبي أمير حمص سيكون في جيش التتار بفرقته ومعه صارم الدين أيبك، وأنهم سينهزمون وقت المعركة.

كانت هذه الأخبار مهمة للمسلمين، ولكن أمراء الحرب في جيش قطز تخوفوا من أن تكون هذه الأخبار خدعة من التتار أو من الأشرف الأيوبي، وقرر قطز الأخذ بهذه الأخبار دون التفريط في الإعداد أو التهاون في الحيطة والحذر.

المعركة

صلى جيش المسلمين صلاة الفجر يوم الجمعة 25 رمضان 658 هـ / 3 سبتمبر 1260، ورتبوا صفوفهم بعد الصلاة واستعدوا، وما إن أشرقت الشمس حتى أتى جيش التتار لسهل عين جالوت من الشمال، ولم يكن في السهل أحد من المسلمين، فقد كانوا يختبئون خلف التلال، وكانت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس لا تخفي نفسها، وكان الهدف من هذه الخطة حتى يعتقد جواسيس التتار أن هذه المقدمة هي كل الجيش،[59] وبدأت مقدمة الجيش في النزول من أحد

التلال لسهل عين جالوت، وكان هذا النزول نزولا على عدة مراحل، كانت أول كتيبة نزلت لمواجهة التتار تلبس ملابس ذات لون أحمر وأبيض بقيادة القائد سنقر الرومي، ثم نزلت كتيبة أخرى تلبس الملابس الصفراء بقيادة القائد بلبان الرشيدي، ثم تتابع نزول الكتائب بألوانها المختلفة، في هذا الأثناء كان يقف بجانب كتبغا صارم الدين أيبك، وكلما نزلت كتيبة سأل كتبغا صارم الدين: يا صارم رنك من هذا؟ (رنك كلمة فارسية تعني لون وهو يقصد كتيبة من هذه وكان صارم يقول: رنك فلان أحد أمراء المماليك،[59] وبعد أن نزلت مقدمة جيش المسلمين بقيادة الظاهر بيبرس بدأت فرقة عسكرية مملوكية في الظهور على أرض المعركة وانطلقت بقوة تدق طبولها وتنفخ أبواقها وتضرب صنوجها النحاسية، وكانت الجيوش المملوكية تتلقى أوامرها في أرض المعركة بهذه الطريقة التي لا يعرفها أعدائها، فكانت هناك ضربات معينة للميمنة وضربات معينة للميسرة وضربات معينة للقلب، وكانت هناك ضربات محددة للتقدم والتأخر، وضربات خاصة لكل خطة عسكرية، وبذلك استطاع قطز أن يقود المعركة عن بعد، ووقف الظاهر بيبرس بقواته على المدخل الشمالي لسهل عين جالوت، بينما ترك السهل بكامله خالياً من خلفه.[60]

مخطط لسير المعركة في عين جالوت

نظر كتبغا إلى مقدمة جيش المسلمين فوجد القوة الظاهرة أمامه قوة قليلة جداً، فأراد أن يحسم المعركة لصالحه بأسرع وقت، وقرر أن يدخل بكامل جيشه وقواته لقتال مقدمة الجيش (وهذا ما خطط له قطز)، أعطى كتبغا إشارة البدء لقواته بالهجوم على المقدمة التي ظن أنها كل الجيش، فتقدمت أعداد هائلة من فرسان التتار باتجاه مقدمة الجيش، وقف بيبرس هو وجنوده في أماكنهم حتى اقتربت منهم جموع التتار، عندها أعطى بيبرس لجنوده إشارة بدء القتال، فانطلقوا باتجاه جيش التتار، وارتفعت سحب الغبار من المعركة وتعالت أصوات دقات الطبول، واحتدم القتال للحظات، وثبتت مقدمة الجيش في القتال وكانت مكونة من خيرة فرسان المماليك، قرر كتبغا استخدام كامل قواته لقتال مقدمة الجيش بعد أن رأى منهم الثبات في القتال، دون أن يترك أي قوات للاحتياط خلف جيش التتار، استمر القتال سجالاً على الرغم من الفجوة العددية الكبيرة بين القوتين، ثم دقت الطبول دقات معينة وهي عبارة عن أوامر من قطز إلى بيبرس بسحب التتار إلى داخل سهل عين جالوت، بدأ بيبرس على الفور في تنفيذ الأوامر، فأظهر للتتار الانهزام وتراجع بظهره وهو يقاتل، وكان التراجع الذي نفذه بيبرس وجنوده تراجعاً سريعاً وذلك حتى لا تهلك مقدمة الجيش، عندما رأى كتبغا تراجع المسلمين أمر جنده بتتبعهم

والقضاء عليهم، وبدأ جيش التتار في دخول سهل عين جالوت للضغط على الجنود الذين انسحبوا، وبعد مدة من الزمن ليست بالقليلة دخل جيش التتار بأكمله داخل سهل عين جالوت، وانسحب الظاهر بيبرس بجنوده إلى الناحية الجنوبية من السهل، ارتكب كتبغا خطأً جسيماً بعدم تركه قوات احتياطية خارج السهل لتؤمن طريق العودة في حال الخسارة ولتمنع التفاف جيش المسلمين حول التتار.[61]

في هذا الوقت نزل جيش المسلمين الرئيسي من خلف التلال إلى ساحة المعركة، وأسرعت فرقة قوية من المماليك لغلق المدخل الشمالي لسهل عين جالوت، وبذلك أحاطت قوات جيش المسلمين بالتتار من كل جانب، أيقن عندها القائد كتبغا المكيدة التي انطوت عليه من المسلمين، وبدأ صراعاً لا مجال فيه للهرب أو المناورة، وبدأ التتار يقاتلون بكل شجاعة، وظهر تفوق الميمنة في جيش التتار، فتراجع المسلمون تحت ضغط بسالة التتار الذين اخترقوا ميسرة المسلمين، وبدأ تساقط الشهداء في جيش المسلمين، كان قطز في هذه الأثناء في مكانٍ عالٍ خلف الصفوف يراقب الوضع، ويوجه فرق الجيش لسد الثغرات، ولما رأى معاناة ميسرة الجيش دفع بقوة احتياطية لمساندتها، ولكن هذه القوة لم تغير في الأمر شيئاً أمام بسالة وقوة ميمنة التتار، ثم دفع بقوة احتياطية أخرى، ولكن الموقف تأزم بشكلٍ أكبر، عندها قرر قطز أن ينزل بنفسه لأرض المعركة، فرمى خوذته وأخذ يصرخ «وإسلاماه... وإسلاماه»، واحتدم القتال في سهل عين جالوت، وكان فيه أن صوّب أحد التتار سهمه نحو قطز، فأخطأه وأصاب فرسه وقتل الفرس،[62] واستمر القتال وقطز في أرض المعركة يقاتل، وبدأت الكفة تميل لصالح المسلمين، وارتد الضغط على التتار، وتقدم أمير من أمراء المماليك واسمه جمال الدين آقوش الشمسي واخترق صفوف التتار حتى وصل لكتبغا، ودار بينها قتال فتمكن آقوش من كتبغا وقتله،[63][64] وبقتله قتلت العزيمة عند جيش التتار، وأصبحوا يقاتلون ليفتحوا لأنفسهم طريقاً في المدخل الشمالي لسهل عين جالوت ليتمكنوا من الهرب، واستطاعوا فتح ثغرة في المدخل الشمالي، وخرجت أعداد كبيرة منهم باتجاه الشمال، وخرج المسلمون في طلبهم، حتى وصل التتار الفارّون إلى مدينة بيسان، وعندما وصل إليهم المسلمون، لم يجد التتار أمامهم إلا أن يعيدوا تنظيم صفوفهم ويصطفوا من جديد، ودارت بين الطرفين معركة كبيرة قرب بيسان، وقاتل التتار فيها قتالاً شديداً، وبدؤا يضغطون على المسلمين، ودارت الدائرة لهم، عندها كرر قطز ما فعله في عين جالوت وأخذ يصيح بالجند «وإسلاماه... وإسلاماه... وإسلاماه» ثلاثاً، كانت هذه الكلمات دفعة معنوية لجنود جيش المسلمين، وأقبل الجند على القتال وارتفعت راية الإسلام وهوت راية التتار، وبدأ جنود التتار في

التساقط، وكانت نتيجة المعركة أن أُبيد جيش التتار بأكمله، ولم يبقَ على قيد الحياة من الجيش أحد.[65][66][67][68][69][70][71][72]

بعد المعركة

كانت معركة عين جالوت المعركة الأولى التي يهزم فيها جيش المغول في معركة حاسمة منذ عهد جنكيز خان،[73][74] وبعد الانتصار الذي حققه قطز وجيشه، أخذ قطز في التفكير في أمر التتار في الشام، فلا تزال هناك حاميات تتارية في دمشق وحمص وحلب وغيرها من مدن الشام، ومع ما أصاب جيش المسلمين من كثرة الشهداء وكثرة الجرحى، وما لقوه من عناء وتعب، قرر سيف الدين قطز السير إلى دمشق لتحريرها من سيطرة التتار، واستغلال فرصة انكسار جيش التتار وهزيمته الساحقة في سهل عين جالوت.[75]

تحرير دمشق

باب توما أحد أبواب دمشق القديمة التي دخل منها جيش المسلمين دمشق عام 1260م.

أراد سيف الدين قطز أن يستثمر انتصاره على جيش المغول في عين جالوت، في تهيئة انتصار جديد للمسلمين في دمشق على جيش التتار المحتمي فيها، فجيش التتار قتل بأكمله في المعركة، ولم ينقل أحد منهم الخبر إلى دمشق، فأردا قطز أن ينقل خبر النصر الكبير على المغول بنفسه، ليضعف من معنويات الحامية التتارية في دمشق، فيسهل عليه فتحها، قرر قطز أن يرسل رسالة إلى التتار يعلمهم فيها بهزيمة كتبغا وجيشه، وجاء فيها:[76]

أما النصر الذي شهد الضرب بصحته، والطعن بنصيحته، فهو أن التتار خذلهم الله، استطالوا على الأيام وخاضعوا بلاد الشام واستنجدوا بقبائلهم على الإسلام، وهذه عساكر الإسلام مستوطنة في مواطنها ما تزلزل لمؤمن قدم إلا وقدم إيمانه راسخة ولا تثبت لأحد حجة إلا وكانت الجمعة ناسخة ولا عقدت برجمة ناقوس إلا وحلها الآذان ولا نطق كتاب إلا وأخرسه القرآن.

ولم تزل أخبار المسلمين تنتقل إلى الكفار، وأخبار الكفار تنتقل إلى المسلمين، إلى أن خلط الصباح فضته بذهب الأصيل، وصار اليوم كأمس ونُسخت آية الليل بسورة الشمس، إلى أن تراءت العين بالعين واضرمت نار الحرب بين الفريقين، فلم تر إلا ضرباً يجعل البرق نضواً ويترك في بطن كل من المشركين شِلْواً، وقتل من المشركين كل جبار عنيد، ذلك بما قدمت أيديهم (وما ربك بظلام للعبيد)

وصلت رسالة سيف الدين قطز إلى دمشق في اليوم السابع والعشرين أو الثامن والعشرين من شهر رمضان، وبهذه الرسالة علم المسلمون نبأ الانتصار فقاموا بثورة عارمة داخل دمشق، وأمسكوا بجنود التتار وقتلوا عدداً منهم وأسروا عدداً آخر وفر عدد آخر، وكان السبب الرئيسي لما حدث في دمشق هو انهيار معنويات التتار بعد سماعهم خبر هزيمة كتبغا في عين جالوت، ثم اتجه المسلمون في دمشق بعد أن انتهوا من أمر التتار للانتقام من النصارى الذين كانت لهم مواقف سيئة مع المسلمين أثناء سيطرة التتار على دمشق،[77] وتجاوز بعض المسلمين الأمر إلى حرق الديار والكنائس، وإلى قتل البعض منهم، ونشط بعض المتحمسين للظلم الذي حل بالمسلمين وقرروا قتل اليهود الذين يعيشون في دمشق، واستدعى هذا الأمر تدخل العلماء والنهي عن هذا الفعل لأن اليهود لم يشتركوا مع النصارى في إيذاء المسلمين أيام حكم التتار،[78] وكادت الفتنة أن تعم دمشق بأكملها، حتى أتى يوم الثلاثين من رمضان، عندما وصل سيف الدين قطز وجيش المسلمين دمشق بعد خمسة أيام من معركة عين جالوت، ودخل جيش المسلمين دمشق واستتب الأمن، وانتهت الفوضى التي عمت دمشق، واستقر الوضع بسرعة، وأُمّنَ النصارى واليهود على أموالهم وأرواحهم وممتلكاتهم، وقام قطز بعزل ابن الزكي قاضي دمشق الذي عينه التتار، وعيّن مكانه نجم الدين أبو بكر بن صدر الدين بن سني الدولة، الذي بدأ يفصل في القضايا، ويحكم في المخالفات التي وقعت بين المسلمين والنصارى.[77]

تحرير حمص وحلب

وفي يوم عيد الفطر أرسل سيف الدين قطز الظاهر بيبرس بمقدمة جيشه لتتبع الفارين من التتار، وتطهير المدن الشامية الأخرى من الحاميات التتارية، فوصل بيبرس إلى حمص، واقتحم معسكرات الحامية التتارية وقضى عليهم وهرب من هرب منهم، وأُطلق سراح المسلمين الأسرى الذين كانوا في قبضة التتار، ثم انطلقوا خلف الحاميات التتارية الهاربة، فقتلوا أكثرهم وأسروا

الباقين ولم يفلت منهم إلا الشريد، ثم اتجه بيبرس بمقدمة جيشه إلى حلب، ففر منها التتار، واستطاع المسلمون تطهير بلاد الشام بأكملها من التتار في بضعة أسابيع.[79]

توحيد مصروالشام

أعلن سيف الدين قطز توحيد مصر والشام تحت دولة واحدة بزعامته، وكانت هذه الوحدة هي الوحدة الأولى بين الإقليمين منذ عشر سنوات، وذلك منذ وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخُطِبَ لسيف الدين قطز على المنابر في كل المدن المصرية الشامية والفلسطينية، وبدأ قطز في توزيع الولايات الإسلامية على الأمراء المسلمين، وأرجع بعض الأمراء الأيوبيين إلى مناصبهم، وذلك ليضمن عدم حدوث أي فتنة في بلاد ومدن الشام، فأعطى قطز إمارة حمص للأشرف الأيوبي (الذي أرسل صارم الدين أيبك إلى قطز قبل معركة عين جالوت يعلمه ببعض المعلومات السرية)، وأعطى إمارة حلب لعلاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ، وأعطى إمارة حماة للأمير المنصور، وعين الأمير المملوكي جمال الدين آقوش الشمسي (قاتل القائد المغولي كتبغا) على الساحل الفلسطيني وغزة، أما دمشق فقد عين عليها علم الدين سنجر الحلبي، وفي يوم السادس والعشرين من شهر شوال عام 658 هـ الموافق الرابع من شهر أكتوبر عام 1260م عاد سيف الدين قطز لمصر.[80][81]

نتائج المعركة

كان للانتصار في معركة عين جالوت أثرا كبيرا جداً في روح ومعنويات المسلمين من جهة، وفي طموح المسلمين في تحرير ما بقي من مدن وبلدات العالم الإسلامي التي كانت تقبع تحت احتلالين: الأول الاحتلال المغولي والثاني الاحتلال الصليبي، وتبدد الاعتقاد بمقولة أن التتار لا يمكن أن يُهزموا،[82] وبدأ المماليك في الإعداد لاستعادة هيبة الإسلام بعد غياب دام سنين طويلة.

كسرشوكة المغول

استطاع المماليك وقف تمدد المغول العسكري في الشام وفلسطين والأناضول، ولم يتمكن المغول من غزو بلاد الشام لفترة من الزمن،[83]، وكان من أهم نتائج معركة عين جالوت أن هولاكو الذي استقر في تبريز لم يفكر في إعادة احتلال الشام مرةً أخرى، وكان أقصى ما فعله رداً على عين جالوت هو إرسال حملة انتقامية أغارت على حلب.[10][84]

بروز دولة المماليك

تعتبر معركة عين جالوت البداية الحقيقية لحكم المماليك في العالم الإسلامي، وحملهم لواء الإسلام والذود عن أراضيه، والتي دامت قرابة ثلاثة قرون،[85] فحملوا على عاتقهم صد هجمات التتار والصليبيين، وأضفوا على دولتهم شرعية أكبر من خلال جعل الخلافة العباسية في القاهرة في عهد الظاهر بيبرس، ثم بدؤا مهمة تحرير بلاد الشام من الصليبيين وبعد أشهر قليلة من عين جالوت بدأ بيبرس في الإغارة على الإمارات الصليبية، فتساقطت تلك الإمارات ابتداءً من 664 هـ / 1265م، فتحررت مدن قيسارية وحيفا ثم حصن أرسوف في فلسطين، وفي 665 هـ / 1266م حررت صفد، وبينما كان بيبرس يحرر هذه المدن، كان قائده المنصور قلاوون يحرر قليقلة في الأناضول، وانتصر على الأرمن بقيادة الملك هيثوم، وفي 666 هـ / 1267م حرر بيبرس مدينة يافا، وفي 667 هـ / 1265م حُرِّرَت أنطاكيا إمارة بوهمند الثالث أمير أنطاكية الذي كان متحالفاً مع التتار، وهي أول مملكة صليبية في بلاد المسلمين، ولم يبقَ عند وفاة الظاهر بيبرس من المدن الإسلامية المحتلة سوى عكا التي كانت أقوى الإمارات الصليبية، بالإضافة إلى صور وصيدا وطرابلس واللاذقيةوطرطوس.[86][87][88][89]

ثم حررت طرابلس في سنة 684 هـ الموافق 1285م أي بعد معركة عين جالوت بستة وعشرين سنة عل يد السلطان المملوكي المنصور قلاوون، ثم خلفه بعد وفاته ابنه الأشرف صلاح الدين خليل الذي أخذ على عاتقه تحرير بقية المدن الإسلامية المحتلة من الصليبيين، واستطاع تحرير عكا في عام 690 هـ الموافق 1291م بعد قرنين من احتلال الصليبيين لها، وبعد فشل كل الأمراء المسلمين قبله في فتحها،[90] ثم بعد وقت قليل من سقوط حصن عكا حررت صيداوصور وبيروت وجبيل وطرطوس واللاذقية، وبذلك انتهى وجود الإمارات الصليبية بشكل تام من أرض الشام.[91][92]

تأثر التتار بالإسلام

كانت بداية تأثر التتار بالإسلام من خلال أحد زعماء القبيلة الذهبية التي تعد أكبر قبائل التتار، وهو بركة خان ابن عم هولاكو قائد التتار في الغرب، كان إسلام بركة عام 650 هـ، وتولى زعامة القبيلة الذهبية في عام 652 هـ، كانت القبيلة شبه مستقلة عن دولة التتار وتحكم المنطقة التي تقع شمال بحر قزوين والمعرفة باسم القبجاق، وبإسلامه دخلت أعداد كبيرة من القبيلة الذهبية في دين الإسلام، ولما وصلت القبيلة الذهبية نبأ ما حدث في معركة عين جالوت، تزايد

أعداد المسلمين في القبيلة حتى أصبحت كلها تقريبا مسلمة، وكان مما جرى في أمرهم أن بركة خان زعيم القبيلة الذهبية تحالف مع الظاهر بيبرس ضد هولاكو.[93][94][95]

مقتل قطز

كانت نهاية سيف الدين قطز بعد معركة عين جالوت بخمسين يوماً فقط،[96] اتفق المؤرخون على أن قطز قتل وهو في طريق عودته من دمشق إلى القاهرة في منطقة تسمى الصالحية بفلسطين، وكان مقتله على يد القائد المملوكي الظاهر بيبرس،[97][98][99][100][101] واختلف المؤرخون في سبب إقدام بيبرس على قتل السلطان قطز، فابن خلدون في مقدمته يروي أن المماليك البحرية بقيادة بيبرس كانت تتحين الفرصة لقتل قطز لأخذ الثأر لمقتل أميرهم فارس الدين أقطاي، الذي تولى قطز قتله في عهد السلطان عز الدين أيبك، فلما غادر قطز دمشق وقرب من مصر، ذهب في بعض أيامه يتصيد وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه المماليك وعلاه بيبرس بالسيف فخر صريعاً، في حين يقول جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء أن قطز وعد بيبرس بإعطائه إمارة حلب ثم رجع قطز عن وعده، فتأثر بيبرس بذلك، ولما رجع قطز إلى مصر كان بيبرس قد أضمر الشر وأسر ذلك في نفسه، ثم اتفق بيبرس وجماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق،[99] أما المؤرخ قاسم عبده قاسم فقال أن بيبرس ظن أنه أحق بالعرش من قطز، لا سيما وأنه صاحب دور كبير في هزيمة الحملة الصليبية السابعة بقيادة الملك لويس التاسع قبل عشر سنوات في المنصورة، كما أنه لعب دوراً كبيراً في هزيمة المغول في عين جالوت، وأنه كان أول من ألحق بهم هزيمة عندما دمر طليعة الجيش المغولي، ثم طارد فلوله المنسحبة حتى أعالي بلاد الشام.[102]

.

المراجع

↑ أ ب عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز، الدكتور شوقي أبو خليل، صفحة 74.

↑ أ ب قصة التتار من البداية حتى عين جالوت، راغب السرجاني، صفحة 245.

^ دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، الجزيرة نت، نشر في 22 نوفمبر 2009. نسخة محفوظة 5 أكتوبر 2018 على موقع واي باك مشين.

^ الدولة الخوارزمية.. الخوارزميون، قصة الإسلام، نشر في 23 مارس 2014. نسخة محفوظة 3 سبتمبر 2016 على موقع واي باك مشين.

^ السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي، حوادث سنة 656 هجري.

^ التتار من البداية إلى عين جالوت سقوط سوريا، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 02 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

^ قاهر التتار سلطان مصر والشام المظفر قطز، رابطة أدباء الشام، نشر في 5 فبراير 2011. نسخة محفوظة 25 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

^ العز بن عبد السلام ودوره الإصلاحي في تحريم الضرائب إلا بشروط، صلاح الدين سلطان، نشر في 11 نوفمبر 2012. نسخة محفوظة 14 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

^ كيف نجا المسلمون من عاصفة المغول والتتار المدمِّرة، ديوان العرب، نشر في 21 مايو 2006. نسخة محفوظة 14 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

↑ أ ب الصلابي، ص:127

^ السرجاني، ص:28

^ السرجاني، ص:64

^ الطاغية جنكيز خان، قصة الإسلام، اطلع عليه في 11 مارس 2015. نسخة محفوظة 3 يناير 2017 على موقع واي باك مشين.

^ سقوط بغداد ونهاية الخلافة العباسية، قصة الإسلام، اطلع عليه في 11 مارس 2015. نسخة محفوظة 16 ديسمبر 2016 على موقع واي باك مشين.

^ أبو خليل، ص:53

^ السرجاني، ص:187

^ الانتصار على التتار (دراسة تربط ماضي الأمة بحاضرها)، سامي بن خالد الحمود، عرب نيوز، اطلع عليه في 11 مارس 2015. نسخة محفوظة 27 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

^ الغزو المغولي، مجلة العلوم الاجتماعية، اطلع عليه في 11 مارس 2015.[وصلة مكسورة] نسخة محفوظة 02 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني، ص:203

^ مقتل السلطان الأيوبي توران شاه، مفكرة الإسلام، اطلع عليه في 11 مارس 2015. نسخة محفوظة 10 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

^ أبو خليل، ص:44.

^ الصلابي، ص:43

^ شجرة الدر أول امرأة تجلس على العرش في تاريخ الإسلام، الأهرام، 6 سبتمبر 2013. نسخة محفوظة 09 سبتمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

^ الصلابي، ص:64.

^ السرجاني، ص:231

^ الصلابي، ص:68

^ [مقتل شجرة الدر]، المساليك، اطلع عليه في 11 مارس 2015.مراجعة مرجع

^ الصلابي، ص:83

^ قصة التتار، الموسوعة الشاملة، اطلع عليه في 11 مارس 2015. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ أبو خليل، ص:58

^ الملك المظفَّر سيف الدين قطز، حركة الإحسان، نشر في 26 مايو 2014. نسخة محفوظة 2 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.

^ الصلابي،ص:87.

^ سلاطين المماليك البحرية وأهم أعمالهم أيبك – قطز، شبكة الألوكة، نشر في 12 نوفمبر 2011. نسخة محفوظة 11 مايو 2017 على موقع واي باك مشين.

^ الصلابي،ص:110.

^ السرجاني ص:253.

^ المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

^ سيف الدين قطز قاهر الخوف، د.خالد أبو شادي، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 16 أغسطس 2017 على موقع واي باك مشين.

^ قرار تاريخي في موقف حاسم، اسلام ويب، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 16 أغسطس 2017 على موقع واي باك مشين.

^ من للإسلام إن لم نكن نحن؟، عودة ودعوة، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 16 أغسطس 2017 على موقع واي باك مشين.

^ الصلابي ص:116.

^ قطز.. وقرار الجهاد، نداء الإيمان، اطلع عليه في 12 مارس 2015. الدعاة/قطز.. وقرار نسخة محفوظة 6 أكتوبر 2018 على موقع واي باك مشين. i6665&p34الجهاد/

^ سيف الدين قُطُز: قهر المغول، وطعنه الرفاق، سراج، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 30 أبريل 2020 على موقع واي باك مشين.

^ عين جالوت 658 هـ، إسلام ويب، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 05 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني ص:284

^ الصلابي ص:113

↑ أ ب السرجاني ص:285

^ سلطان العلماء وبائع الأمراء، طريق الإسلام، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 30 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني ص:292

↑ أ ب ت الهدنة بين قطز والصليبيين في عكا، قصة الإسلام، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 20 ديسمبر 2016 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني ص:297

↑ أ ب ت معركة غزة.. أول الانتصارات على التتار، قصة الإسلام، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 20 ديسمبر 2016 على موقع واي باك مشين.

↑ أ ب السرجاني ص:304

^ تأكيد الهدنة بين المسلمين والصليبين في عكا، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 05 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

^ أبو خليل ص:67

^ السرجاني ص:308

^ السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت معلومات استخبارية مهمة، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

^ موسوعة الكتب الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، اطلع عليه في 12 مارس 2015.[وصلة مكسورة] نسخة محفوظة 2 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.

^ الصلابي ص:121

↑ أ ب معركة عين جالوت وحوار أيبك وكتبغا، قصة الإسلام، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 06 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني، ص:318

^ السرجاني، ص:323.

^ أبو خليل، ص:76.

^ كتاب البداية والنهاية، نداء الإيمان، اطلع عليه في 12 مارس 2015. والنهاية **/الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسي/ i111&d77884&c&p1 نسخة محفوظة 7 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ الوافي بالوفيات للصفدي، الموسوعة الشاملة، اطلع عليه في 15 مارس 2015. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ كيف انتصر المسلمون على التتار وبماذا؟ (تقرير2-2)، عودة ودعوة، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 12 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ عين جالوت محمد عبد الغني، شبكة الألوكة، اطلع عليه في 12 مارس 2015. نسخة محفوظة 06 يونيو 2017 على موقع واي باك مشين.

^ قائد المغول في معركة عين جالوت، إسلام ويب، نشر في 30 يونيو 2002. نسخة محفوظة 05 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ عين جالوت صفحة بيضاء في تاريخ الأمة، الإسلام اليوم، نشر في 17 نوفمبر 2002. نسخة محفوظة 30 أكتوبر 2016 على موقع واي باك مشين.

^ من التاريخ: درع مصر في عين جالوت د. محمد عبد الستار البدري، الشرق الأوسط، نشر في 7 اغسطس 2013. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ عين جالوت أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، صحيفة المدينة، نشر في 2 أغسطس 2013. نسخة محفوظة 21 يوليو 2015 على موقع واي باك مشين.

^ معركة عين جالوت، مفكرة الإسلام، نشر في 25 أغسطس 2011. نسخة محفوظة 14 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ معركة عين جالوت عام 658هـ، أمانة مكة، اطلع عليه في 13 مارس 2015.[وصلة مكسورة] نسخة محفوظة 04 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.

^ معركة عين جالوت، المستظرف، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 3 مايو 2015 على موقع واي باك مشين.

^ عين جالوت.. توفيق الله ثم المهارة العسكرية هما سر الانتصار، نشر في 3 سبتمبر 2013. نسخة محفوظة 07 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ قصة التتار من البداية حتى عين جالوت، راغب السرجاني، صفحة 337.

^ السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

↑ أ ب السرجاني، ص:339

^ الصلابي، ص:125

^ معركة عين جالوت (مرآة الماضي للحاضر)، د. محمد أحمد عبد الهادي رمضان، بوابة الشرق، نشر في 2 أغسطس 2013. نسخة محفوظة 20 أبريل 2016 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني، ص:342

^ الصلابي ص:126

^ سلسلة التتار بداية القصة، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 14 مايو 2016 على موقع واي باك مشين.

^ تيمورلنك في سورية، جدلية، نشر في 16 أغسطس 2011. نسخة محفوظة 7 أبريل 2018 على موقع واي باك مشين.

^ السرجاني ص:345

^ التاريخ الإسلامي دولة المماليك، موسوعة الأسرة المسلمة، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 5 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

^ الوطن العربي والغزو الصليبي - تأليف د. خاشع المعاضيدي.

^ مصر والشام في عصر الايوبين والمماليك، سعيد عبد الفتاح عاشور، (بيروت، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت)

^ الظاهر بيبرس مؤسس دولة المماليك 1260م، تاريخ مصر، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 16 أغسطس 2018 على موقع واي باك مشين.

^ أبو خليل، ص:71

^ عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز، الدكتور شوقي أبو خليل، صفحة 89.

^ قصة الحروب الصليبية، قصة الإسلام، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 27 نوفمبر 2016 على موقع واي باك مشين.

^ تاريخ فلسطين الحروب الصليبية:عهد المماليك المسلمين ثم استرداد عكا وانتهاء الحكم الصليبي، فلسطين سؤال وجواب، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 24 سبتمبر 2015 على موقع واي باك مشين.

^ محاولات التحالف بين المغول والصليبيين ضد المسلمين، كلمات، اطلع عليه في 13 مارس 2015.[وصلة مكسورة] نسخة محفوظة 02 أبريل 2015 على موقع واي باك مشين.

^ بداية المغول المسلمين، طريق الإسلام، نشر في 9 مارس 2014. نسخة محفوظة 3 فبراير 2019 على موقع واي باك مشين.

^ عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز، الدكتور شوقي أبو خليل، صفحة 9.

^ قصة التتار من البداية حتى عين جالوت، راغب السرجاني، صفحة 366.

^ كتاب تاريخ ابن خلدون: قصة مقتل الملك المظفر سيف الدين قطز، سراج نت، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 23 أغسطس 2014 على موقع واي باك مشين.

^ البداية والنهاية، جزء 13، صفحة 222.

↑ أ ب تاريخ الخلفاء، الجزء الأول، صفحة 403.

^ عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز، الدكتور شوقي أبو خليل، صفحة 85.

^ السلطان قطز ومعركة عين جالوت، علي محمد محمد الصّلاّبي، مؤسسة إقرأ، صفحة 129.

^ السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت الطريق إلى عرش المماليك، المكتبة الشاملة، اطلع عليه في 13 مارس 2015. نسخة محفوظة 04 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.[وصلة مكسورة]

مصادر أخرى

عين جالوت، فتحي شهاب الدين، دار البشير للثقافة والعلوم (2000).

السلطان سيف الدين قطز بطل عين جالوت وقاهر المغول، منصور عبد الحكيم، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع (2012).

السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك، محمد علي الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (2010).

عين جالوت وفن الحرب عند المماليك، فوزي القوني، مكتبة بستان المعرفة (2010).

معارك حاسمة في تاريخ الإسلام (أسبابها نتائجها آثارها) وقائع مختارة من العهد النبوي وحتى عين جالوت الدور المظلم للباطنية، رياض عبد الله ليلا، دار مجد الإسلام لنشر والتوزيع (2009).

يوم عين جالوت، مجد الجبالي، دار الهدى للنشر والتوزيع (2006).

سيف الدين قطز قائد عين جالوت وهازم التتار، محمد القاضي، دار التوزيع والنشر الإسلامية (2000).

من كل بلد عربي قصة - الطريق إلى عين جالوت/قصة مصر، عبد التواب يوسف، مكتبة مصر للمطبوعات (1998).

مجموعة رايات الإسلام في عين جالوت، وصفي آل وصفي، دار المعارف (1998).

السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت، قاسم عبده قاسم، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع (1998).

عين جالوت مسرحية شعرية تاريخية، غازي مختار طليمات، دار طلاس للدراسات والنشر (1996).

الطريق إلى عين جالوت، عبد التواب يوسف، دار الأسرة (1991).

المظفر قطز ومعركة عين جالوت، بسام العسلي، دار النفائس (1986).

معركة عين جالوت، دار الفكر المعاصر (1984).

الغزو المغولي للبلاد الإسلامية من بغداد إلى عين جالوت، حسن الأمين، دار النهار للنشر (1983).

مصر قاهرة المغول في عين جالوت، محمد فتحي الشاعر، دار المعارف (1

ودائماً وأبداً سنحيا بالأمل في الله ..... سنحيا بالعلم....... سنحيا بالكفاح...... سنحيا بالإبتسامة الجميلة

بقلم الباحث :أحمد الجمال

باحث في التاريخ الحديث والمعاصر

مقدم التاريخ بالإذاعة المصرية.

الفرق بين الفتح والاحتلال

الباحث : محمود يوسف





ينظر العلماني العربي الي الفتوحات الإسلامية أنها مثل الاحتلال الغربي !

فتراه مثلا بيشبه الفتح الإسلامي للاندلس بالاحتلال الأمريكي للعراق !

وبعيدا عن خزعبلات العلماني العربي ، التاريخ يعترف بالفرق الرهيب بين الفتح الإسلامي والاحتلال الغربي.

والأندلس والعراق خير مثال.

فعندما فتح المسلمون الاندلس جعلوها اجمل بلاد العالم قاطبة ،يقول المستشرق الانجليزي(ستانلي لين بول) في كتابه (قصة العرب في اسبانيا):(ولقد كانت قرطبة في أيام الخليفة العظيم حاضرة جديرة بالفخر والإعجاب ،واذا استثنينا بيزنطة فلن نجد في أوروبا مدينة تساميها في جمال ابنيتها ،او في حياتها الرخية المترفة ،او فيما تزخر به انواع العلوم والفنون والآداب).

ويقول ايضا:(فقد كانت عقول أهل قرطبة كقصورها في الحسن والروعة ،فإن علمائها واساتذتها جعلوا منها مركزاً للثقافة الأوروبية ،فكان الطلبة يفرون إليها من جميع أنحاء أوروبا لتلقي العلم عن جهابذتها الاعلام).

ويقول المؤرخ وعالم الإجتماع الفرنسي(غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب):(إسبانيا لم تكن ذات حضارة تذكر قبل الفتح العربي ،فصارت ذات حضارة ناضرة في زمن العرب ، ثم هبطت في الدرج الاسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب).

أما العراق فيشهد التاريخ والواقع الذي نعيشه ،عن كمية الخراب والفوضى الذين حلوا عليها بعد الغزو الأمريكي !

وهنا علينا توضيح أمر مهم وهو ،أن المسلمين في فتوحاتهم :

لم يبيدوا اديان مثل ما فعلت محاكم التفتيش في الاندلس.

ولم يبيدوا أعراق مثل ما فعل الامريكان في الهنود الحمر.

ولم يفقروا الشعوب مثل مافعلت بريطانيا وفرنسا.

ولم يهجروا السكان مثل ما فعلت اسرائيل.

ولم تظهر في حروبهم مصطلحات الإبادة الجماعية أو التطهير العرقي ،مثل ما ظهرت في حروب ملاحدة الاتحاد السوفيتي.

فمن كان يريد أن يعرف الفرق بين الفتح والاحتلال عليه بمشاهدة الاندلس بعد الفتح الإسلامي والعراق بعد الاحتلال الامريكي !

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:(هل لي أن ألفت النظر إلى أن الفاتحين العرب ذابوا في السكان الأصليين بعد أن قدموا الاسلام لهم ؟ وصلوا وراءهم مأمومين في المساجد ،وجلسوا بين أيديهم متعلمين في المدارس ؟ أن الإسلام ارتباط عالمي بالله وليس تفوق جنس يريد لذاته الاستعلاء).

عبقرية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

د. على حسن الروبي



لا أعلم امرأة قديمًا أو حديثًا حَظِيَت بإعجابي وتقديري واحترامي وحبي كالصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما – وكلما زادت معرفتي بسيرتها وتاريخها، ازدادت منزلتُها وحُبُّها في قلبي وعقلي.

وإذا كان كلُّ مُسلم صحيح العقيدة يُشاركني هذا الحُبَّ والتقدير من زاوية شرعية دينيَّة، فإنِّي أجد لهذا الإعجاب والتقدير عاملاً آخر وهو عاملُ النبوغ والعبقريَّة، وأنا شديد التأثُّر بهما لدرجة بعيدة.

وما صار إليه حال الناس في هذه المرأة من كون جمهورهم يرى أنَّ مِن دينه ولاءَها وحُبَّها، كما ترى فئةٌ ما أنَّ مِن دينها عداء هذه المرأة وبُغضها، فكل ذلك يعد دليلاً على عبقرية الصديقة

– رضي الله عنها – فإنَّ الناس لا ينقسمون ولا يختلفون – عادةً – إلا حول العباقرة والموهوبين، كما يقول الأديب الكبير عباس العقاد.

إنَّ مظاهرَ النبوغ والعبقرية والذَّكاء والألمعية لَتَقِفُ جنبًا إلى جنب مع الصِّفات الإيمانيَّة، التي كانت تتحلى بها هذه المرأة الموهوبة، والتي رفعها رصيدها الإيماني إلى ذلكم الشرف العظيم، وهو أن تصبح زوجة للنبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – في الدنيا والآخرة.

ولا رَيْبَ أنَّ الزواج به – صلَّى الله عليه وسلَّم – منزلةٌ دينية، فقد وُعِد صاحباتُها بتضعيف الأجر لهن.

ومن هنا نَجد أنَّ الأقدار الماضية سبقت بأنَّ هذه المرأة ستكون زوجًا للنبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فعنْ عائشةَ – رضيَ الله عنها – أَنَّ النَّبِيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال لها: ((أُرِيتُكِ في المنام مَرَّتَيْنِ أرى أَنَّكِ في سَرَقَةٍ من حريرٍ، ويقولُ: هذه امرأتك فاكْشِفْ عنها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله، يُمْضِهِ))؛ رواه البخاري.

وقد أوصلها هذا الرصيدُ الإيماني أيضًا إلى أنْ تظفر بِمَحَبَّة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لها مَحبة شرعية قدمت فيها على سائر النِّساء، كما قُدِّم فيها أبوها على سائر الرجال، فقد روى البخاري عن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته، فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: فمن الرجال؟ قال أبوها...".

ولقد كانت حُظوة عائشة عند النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وتقدُّم مكانتها عنده مما يشتهر ويعرف بين الناس الأباعد منهم والأقارب على السواء؛ فعن عائشة، قالت: "كان الناسُ يتحَرَّوْن بهداياهم يومَ عائشة".

قالت: "فاجتمعن صواحبي إلى أمِّ سَلمة، فقُلْنَ لها: إنَّ الناس يتحَرَّوْن بهداياهم يومَ عائشة، وإنا نريد الخير كما تريدُه عائشة، فقولي لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يأمر الناسَ أنْ يُهدوا له أينما كان، فذكرت أمُّ سَلَمة له ذلك، فسكت، فلم يردَّ عليها، فعادت الثانية، فلم

يردَّ عليها، فلما كانت الثالثة، قال: ((يا أمَّ سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنَّه والله ما نزل عليَّ الوَحْيُ وأنا في لحافِ امرأة منكنَّ غيرها))"؛ الترمذي (703/5).

إذًا لَم يكُن حبُّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لهذه المرأة حُبًّا طبيعيًّا محضًا تُمليه العلاقة الزوجية، أو تقف خلفه الصفات الخِلْقِية ونحوها من تَمتُّع عائشة بالجمال، أو كونها البكر الوحيدة، التي بنى بها دون سائر أزواجه، بل كان للنَّصيب الإيماني الذي تتمتع بها الصِّدِّيقة أثرٌ كبير في حب النبي – صَلَّى الله عليه وسلم – لها.

وبالنظرة العَجْلَى إذا ما أردنا استكشافَ عبقرية هذه المرأة ونبوغها يُمكننا أنْ نرجعَ إلى كتب السِّيَرِ؛ لنقفَ منها على سِنِّ عائشة – رضي الله عنها – حينما توفي النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – عنها، فتلكم الأدوارُ الكبيرة والمناقب الجليلة لها هي التي سنقرؤها في سيرتها وحياتِها مع النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وما حازته من فضائلَ وتزكيةٍ من الله – تعالى – ومن نبيه – عليه الصلاة والسَّلام – من نحو قوله – عليه الصلاة والسَّلام –: ((هذا جبريل يُقرِئُكِ السلام))، أو من حيث قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((فضل عائشة على سائر النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام))، كُلُّ ذلك حازته هذه المرأة بين سنِّ التاسعة – وهي سنها عند دخول النبي، صلَّى الله عليه وسلَّم، بها – والثامنةَ عَشْرَةَ عندما توفي عنها.

أجَلْ، من التاسعة إلى الثامنة عشرة.

أيُّ مجد حَقَّقه أو يُمكن أن يُحققَه أحدٌ من الناس في هذه السن الباكرة، نهاية الطفولة وبداية المراهقة، كم من ألوفٍ وملايين من الناس ذُكورًا وإناثًا لا تعني لهم هذه السنوات التِّسع من أعمارهم سوى اللَّهْو واللعبِ والسَّعادة، بسُقُوط المسؤوليات الاجتماعية، أو اللهث وراء نزوات المراهقة، ومُتطلباتها المعنوية والحسِّيَّة.

بل إنَّه حتى جُلّ العباقرة والعظماء لَتنسحِبُ منهم هذه المرحلة من حياتهم دونما أنْ تتحققَ فيها عظمتهم، أو يتجلَّى فيها نبوغهم.

غاية ما هنالك أنَّ عددًا من العباقرة والموهوبين تأخُذ مواهبُهم في الظهور والتجلِّي في نحو هذه السن، لكنك لا تجدُها تصل بهم إلى أن تكونَ هي مرحلة الاستحقاق للنَّعت بالعبقرية والألمعية والنبوغ.

وفوق ذلك فنبوغات العباقرة والعظماء وإن ظهرت باكرة، فهي منحصرة غالبًا في التفوق في موهبةٍ ما، كقول الشعر، أو حفظ العلم، أو الذكاء، وما شاكل، أمَّا عبقرية الصديقة، فهي عبقريَّة في الشخصية والخلق مع صحة الذِّهْن ورَجاحة العقل والكمال الإنساني الممكن للمرأة.

إنَّ حياةَ الشظفِ وضيق اليد التي نراها في البيت النبوي؛ حيث كان يَمُرُّ الشهر والشهران، وليس لأهله طعام إلا خبز الشَّعير، هذه الحياة القاسية وإن صبرت عليها كبارُ أزواج النبي – صَلَّى الله عليه وسلم – من أمثال سودة وأم سلمة وباقي الزوجات، التي عَرَكْنَ الحياةَ وعرفن حَقَّها من باطلها، وزُخرفها من جوهرها، فكيف واجهتها تلك الفتاةُ التي تودع صباها، وتدخل في فورة المراهقة؟

كيف كانت شخصيةُ عائشة من القُوَّة الإيمانية والنفسية حتى تصبرَ على هذه الحياة، حتى إنَّ النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا بدأ بها في التخيير بين الصبر على شظف العيش والبقاء معه أو مفارقته، جاءت إجابتُها صارمةً واثقة، واختارت شظفَ العيش، والبُعْدَ عن المتَع التي يُمكن أن تحلم بها بناتُ سنِّها.

إن هذه الشخصية العظيمة المترفعة عن حطام الدنيا الزائل في هذه السن الباكرة – لَم يكن غريبًا ولا عجيبًا منها بعد أن اكتهلت أنْ تقسم في اليوم سبعين ألفًا، وإنَّها لتُرَقِّع درعَها، كما قال ابنُ أختها عروة بن الزبير، أو أنْ يبعث إليها معاوية بقلادة بمائتين، فتوزعها على ضَرَّاتِها من أمهات المؤمنين حتى لم تتركْ شيئًا، أو أن يرسل لها ابن أخيها عبدالله بن الزبير بمائة ألف، فتوزعها كلها في الفقراء والمساكين، وعندما يأتي المساء وتريد أن تفطرَ من صومها وتطلب ما تفطر عليه، فلا تجد شيئًا، فتقول لها الخادمة: لو أبقيت درهمًا نشتري به لحمًا؛ لنفطر عليه، فتقول لها: لو ذكرتني لفعلت.

أيُّ استعلاء عن الدُّنيا وانزواء للقلب عنها بعد هذا الاستعلاء؟! أين منه ما تقوم به الرَّاهبات من الاعتزال عن الدُّنيا في الأديرة بزعم الانقطاع للآخرة؟!

وإذا رجعنا إلى عائشة في العهد النبوي، وجدنا أنَّ التربيةَ النبوية والحافز الإيماني الذي وَقَر في قلب عائشة قد صعدا بها أعوامًا كبيرة فوق سِنِّها، مما جعلها تتصرَّف وتتعامل كامرأة ناضجة محنكة، وليست كصغيرة أو مراهقة.

ومع تلك الصرامة والنضوج العقلي المبكر جِدًّا عندها، واضطلاعها بمهامَّ تُناسب مقام زوجها، إلاَّ أنَّنا نُلاحظ أنَّ عائشة – رضي الله عنها – لَم تتنكر لسِنِّها ومرحلتها العمرية تنكرًا تامًّا، ولم تنفصل منهما انفصالاً جذريًّا، بل نراها تلعب بالبنات في بيت النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وتأتيها أترابُها من ذوي سِنِّها فيلعبن معها، ويسمح لها النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بمشاهدة الحبشة، وهم يلعبون بالحراب في المسجد، ونحو ذلك من اللهو البريء.